مبادرة

القراءة بالمجان

الكتاب:واحدة ست/ قصص

الكاتب: برديس سعد

رقم الإيداع: 17773/ 201

ISBN: 978-977-800-042-8

تصميم الغلاف: محمد عبد القوي مصيلحي

تدقيق لغوي- تنسيق داخلي:

www.sekoon.com

دار ليان للنشر والتوزيع

مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056

Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

بردیس سعد

واحدة سِت

قصص

لبان
للنشر
والتوزيع

إهداء

إلى أبي ..
الرجل الأول.. والحب الأول..
المثل الأعلى.. أيقونة الحب في حياتي.. تميمة الحظ في أيامي..
الرجل الاستثنائي في عمري..

إليك أنت: (هاني محمد سعد)..

أنا لا أطلب منك أن تصف سقوط المطر، أنا أطلب أن تجعلني أتبلل، فكِّر بالأمر أيها الكاتب!

غاليانو

مقدمة

أصعب من كتابة الصفحات الجاية كان كتابة مقدمة الكتاب وإختيار إسمه .

(أنا ليه كتبت الكتاب ده)، سؤال كوني عميق.. إجابته موجودة في الحالة اللي بتتملكني وانا باكتب . باعشق الورقة والقلم . أنا كائن لسة بيشتري الكتب من المكتبات ويشخبط فيها مبيعرفش يقرا عالنت .

يمكن مكنتش حسة باحتياج لحد يقرالي اد ماكنت محتاجة اطلع الحروف المتلعبكة في دماغي على ورق.. اشوف افكاري ادامي بتعمل حاجة . محتاجة اخرج قلمي من جيبي واسيبه يجري هنا .

الكتابة في حياتي هي النواية اللي بتسند الزير، هي الأنيس في وقت الفراغ اللي مش عارفة بالاقيه امتى وانا يومي محتاجاه يبقى 48 ساعة، هي الضحكة اللي باضحكها من قلبي لما باكتب كلمة عجبتني.. مستغربين؟ آه عجبتني. أنا بيهمني جدا رأيي فيا ونقدي لنفسي وتحليلي لكل حرف باكتبه.

طول عمري باكتب بالفصحى، باعشق اللغة والمعجم والنحو والاستعارة المكنية والمجاز المرسل.. كنت دايمًا شايفة ان الكتابة بالعامية هي طريقة من طرق الهواة مش المحترفين زيها زي الاغنية الهابطة جنب قصايد رامي اللي بتغنيها ثومة.

حبي للغة العربية (الفصحى) وقوة تعبيراتها الجبارة خلاني أتجاهل تمامًا إني ممكن أقرا أو أكتب بالعامية .

بس في مرة مسكت نفسي متلبسة بجريمة يعاقب عليها قانون مبادئ ومعتقداتي.. لقيتني باكتب افكاري زي مابتكون جوايا بالظبط، بلهجتنا، بمفرداتنا، بكلامنا بتاع كل يوم.. قلت ايه الشطارة دي يابسبوسة (أنا وانا بادلع نفسي)، ده انتي ييجي منك، كملي.. وسمعت كلامي وكملت .

لقيتني بين نصين جوايا بيتخانقوا ..

نص حب الكتابة بكلام اوضنا وقعداتنا.. ونص تاني مش قادر يبعد عن الأصل، عن الفصحى..

وفجأة لقيتني بافض الخناقة وباصفر بصفارة الحكم واقول (ستووووووووب).. واكتبلكم الكتاب ده (نص) بالعامية و(نصف) بالفصحى.

لما بدأت أدوَّر على اسم لكتابي الرسمي الأول كنت بأدوَّر على اسم يقنعني أنا قبل مايشد عين اللي هيقرا.. اسم يخليك تبص على الغلاف، عينك تقول لك هو ده. اسم يختصر حالات الجنون اللي باعيشها لما باقرر أكتب..

لو قريت كتابي قبل ماتقرا اسمي هتعرف إن اللي كاتباه واحدة ست..

لو عشت في كل قصة كتبتها وحسيت بكل كلمة فيها هتتأكد إنها ماتطلعش إلا من واحدة ست..

عشان كده قررت إن كتابي الأول يبقى اسمه: (واحدة ست).

واحدة سِتّ

سي السيد

في ثلاثية نجيب محفوظ (بين القصرين، قصر الشوق، والسكرية) اتصدم القارئ (الراجل تحديدًا) بشخصية سي السيد.. الراجل المثالي جوه بيته، الشخصية اللي ليها (شنّة ورنة)، الأب الصارم اللي كلمته واحدة مافيهاش رجوع، والراجل الغيور على أهل بيته وحرمتهم..

شخصية من اختراع نجيب محفوظ كانت خبطة على راس مجتمع ذكوري بحت بيحاول يتجمل بإظهار وجه تاني لحقيقة الراجل المصري.. في حين إن سي السيد هو الشبح اللي بيسكن الراجل بس بيخاف يعترف إنه مخاوي، وإنه عنده انفصام في الشخصية.

وسط تخبط مفاهيمنا لحاجات كتير في حياتنا صدَّقنا إن فيه راجل مؤمن بمساواة المرأة والرجل.. وسط زحمة جمعيات حقوق المرأة وتكدُّس السينمات بأفلام بتظهِر البطل رومانسي وحبيب آخر حاجة أقتنعنا إن الراجل كائن لذيذ وكيوت.. ونسينا معركتنا الأزلية مع المدعو "سي السيد"..

جربت مرة من فترة أعمل سيرش في جوجل على كلمة سي السيد يمكن ألاقي

كتب تانية تناولت الشخصية دي بوجهة نظر تانية غير سي الأستاذ نجيب.. الحقيقة ماكانش عندي فرصة أكمل بحث.. سي السيد في جوجل أصلًا مش مرتبطة بنجيب محفوظ ولا بأمينة المقهورة ولا حتى بالثلاثية.. سي السيد هي أغنية هابطة لمطربة صاعدة (جدًّا) اسمها شاكيرا.. شاكيرا ببنطلونها الجلد الأسود الصادم ليَّ كمتفرجة بتشوفها لأول مرة هي تجسيد جديد لتواجد سي السيد، الراجل اللي عاوز يعييش جوه البيت مع الشيخة عبلة الكحلاوي وبره البيت يكمل ليالي الأُنس (مش في فيينا) مع شاكيرا.

كلام كبير

هي الأغاني الشعبية دي بيكتبها ناس شكلهم إيه؟.. زينا كده؟.. بيمسكوا ورقة وقلم ويكتبوا ويمسحوا ويغيَّروا ويعدِّلوا ويطبعوا ويقلقوا؟؟.. موهبتهم جت منين؟ تكوين ألفاظهم وتعبيراتهم وصلوا له ازاي؟

ساعات بأقف قُدَّام أغاني شعبية معينة (أزبهل) من قوة الكلام اللي ضاع وسط هيصة موسيقى زار مش مفهوم منها سبب اختيار الجُمل اللحنية دي للكلام الحلو ده..

مش كل أغنية تتصنف على إنها شعبية تبقى كلام هلس.. زي بالظبط الحِكَم المطبوعة على ضهر الاختراع القاتل (التوكتوك) الحِكَم دي هتلاقي بينها خُلاصة تجاربهم في الحياة، التجارب اللي احنا ممكن نكون مامرناش بيها بس نقرا الجملة نقول إزاي كده، إزاي هي احنا.. بالظبط هي الأغاني الشعبي. لو كتبنا مش هنكتبها ولو بنختار نسمع إيه مش هنختارها.. بس فجأة تلاقي جملة منها خبطتك.. كلام كبير يتوزن وزن تقيل.. ناس عاملة دماغ شجن حقيقي.

ميزة الأغاني دي إنها بتخاطب فئة معينة من البشر، ناس في أشد الاحتياج لفن خاص بيهم عشان مانبقاش إحنا والزمن عليهم. بتقول لهم إن فيه حد بيكتب لكم انتوا.. بطريقتكم وصوتكم وإحساسكم وخبراتكم.

المـــــوت

بيفضل الموت هو الحقيقة الوحيدة في حياتنا. ألم الفَقْد المرعب هو اللي بيخوِّفنا من مجرد سيرته.. بيفضل ذعرنا من فكرة إننا مش هنشوف الحد ده تاني مؤلمة بالنسبة لنا أكتر من تخيلنا للي هو نفسه بيمر بيه دلوقتي..

موت الفجأة بالذات بيسيب هزة نفسية عنيفة للمحيطين بالمتوفي، وجعها يكاد يكون موت فعلي لحاجات كتير جواهم، الخضة اللي بتكمل معاهم باقي عمرهم كفيلة بإنها تملاهم وجع يلازمهم سنينهم الجاية.

في مسلسلي المفضل (حديث الصباح والمساء) بأقف دايمًا عند مشهد باعتبره أعظم مشاهد الدراما المصرية على الإطلاق.. (دلال عبد العزيز) جثة هامدة ملفوفة بملاية بيضا وجنبها على السرير (عبلة كامل).. الكلام اللي يوجع كله ممكن يخرج من القريبين من المتوفي في اللحظة دي.. قدراتهم اللغوية بتعلى بطريقة مبهرة.. (الله يرحمك يانعمة، يا أميرة يابنت الناس الطيبين، يا نعمة يا عِشرتي الحلوة يا نعمة، خلاص يا اختي لا أنيس ولا جليس، عدمت الحنان من بعدك يانعمة).. اللي كتب الجمل دي ماعملش اختراع ولا كان معاه عصايا سحرية شق

بيها الأرض وطلَّع الوجع ده كله.. الكلام ده في كل بيت كل يوم. ذكر محاسن الميت اللي بيطغى علينا غصب عننا مجرد مايموت هو شيء فطري بحت.

لما حد قريب من قلبنا بيموت بنفهم يعني إيه هنكمل حياتنا من غير ال backbone بتاعنا.. لما بنحب حد ويموت موته بيقسمنا نصين، بنبقى في أشد الاحتياج لإيد حنينة تطبطب علينا في بعاده . بنكلمه في سرنا وفي صلاتنا.. أوقات بنكلمه بطريقة صعب يفهمها عقلنا البشري، زي ما بيحصل ونوجِّه كلام للميت على صفحته على الفيس بوك، لازم نفهم إننا مش بنعمل كده إلا بتحريض من عقلنا الباطن يمكن نحس إن الكلام هيوصله ونعلن للكل إنه جوَّانا موجود وماماتش.

كش ملك

الشطرنج لعبة الملوك والأذكياء.. بس عمر وصفها بالعظمة دي ماكان سبب كافي لإني أتعلمها.

مين قال إني مش هاشعر بنفس عظمة الملوك وانا بالعب كوتشينة ولّا بنك الحظ أو حتى طاولة؟

ليه عشان يتقال عليَّ عظيمة لازم أحترف الكلكعة وأتعب دماغي وأستنزف رصيد تفكيري اللي يمكن باحوّشه لوقت عوزة .

الانبساط أصلًا مسألة نسبية على فكرة.. مش لازم كورة القدم اللي بيشوفها ملايين تبسطني، ممكن أوي أتبسط وانا باتفرج على سباق خيل ماحدش بيشوفه غير أنا وخمسة ستة في مصر..

السخافات اللي بتضحكني أكيد مابتضحكش غيري، والتفاهات اللي ممكن تضحَّك غيري ممكن أوي ماتضحكنيش.

حتى الكتب اللي باقراها عمري مافكرت عشان أكون عميقة وعاقلة كده

وراسية المفروض أقرا إيه ولمين.. أكاد أزعم زي مابيقولوا إني قريت لكل اسم جه قُدَّامي على رف مكتبة.

إلعب وكُل وإلبس وإقرا اللي يعجبك مش اللي يعجب الناس.

سابع جار

دوَّرت كتير لحد ما اتأكدت إن مفيش حديث صحيح نَصه بيقول إن النبي وصى على سابع جار. المؤكد إنه صلى الله عليه وسلم أوصى فعلًا بالجار في العموم.. عن عائشة رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

ومن هنا جت الجملة المتعارف عليها (النبي وصّى على سابع جار).. ليه سابع جار بالذات؟ ليه مش جارك اللي جنبك ولا اللي فوقك؟ ليه اختار البعيد؟

لأن الوصية لما تمتد للبعيد أكيد كانت مرورًا بالقريب.. يعني انت متوصّي على كل الجيران يا حلو (الجار الطيب رزق)..

الجار يعني الطبق الداير من أول دور لعاشر دور، يعني الباب اللي تخبَّط عليه نُص الليل تستنجد بيه قبل أهلك، يعني صوتك العالي وفضايحك المسموعة وكأنها سر في بير، يعني البيت اللي ولادك هيتربوا فيه جنب بيتك..

الجار يعني صباح الخير الحلوة و(إزيك من غير مصلحة).. يعني (مش عاوز حاجة من بره وانا راجع؟) وهو بيقول في سره يارب يعوز.

في الأفلام العربي صدَّروا لنا صورة ابن الجيران، المراهق اللي أول ما بيتعلم الحب بيتعلمه على إيد بنت الجيران. مرسي جميل عزيز عبَّر عن الحالة دي في إحدى روائعه (زي مابيتقال دايمًا لما بيبقى الكلام عن عمل فني مهم) وكتب (من حُبي فيك ياجاري ياجاري من زمان باخبّي الشوق وأداري ليعرفوا الجيران) اللي غنتها الجميلة (حورية حسن).. وصف الشاعر للحالة دي هو انعكاس عذب لحالة التقارب والتلاحم اللي بتحصل بين الجيران حتى في بداية نُضج مشاعرهم وظهورها للنور.

وبيفضل الجار هو الأخ والقريب والصاحب والحبيب.. هو ملخص لمختلف أشكال العلاقات الإنسانية.

لما بقيت ماما

الأمومة هي العلاقة الإنسانية الوحيدة اللي بتبقى ضامن إنها مش هتطلعك سابع سما وبعدين تنزِّلك على جدور رقبتك.

أول اختبار حمل، وأول أشعة، وأول حيرة في اختيار اسم لحتة منك.. أول ولادة، وأول بوسة، وأول صورة، وأول سِنّة بيضا صغننة.. كلها حاجات بتتطبع في ذاكرتنا ومابيقدرش الزمن ينسيهالنا.

أول فرحة وأكبر سعادة..

لما تبقي ماما لأول مرة يعني الكون كله اعترف بنجاحك.. يعني جيناتك اتزرعت جوه كائن تاني.. الحبل السُّري اللي بيربطك بعقلة الصباع اللي بيكبر جواكي بتحسي في لحظة إنه واصل لقلبك..

لما تبقي ماما يعني طريقة نومك هتشوفيها بتتعاد وانتي مذهولة هي البنت اللي مش باينة من ركبتي دي عرفت أنا بانام بالشكل ده منين..

هتكتشفي إنك فعلًا بقيتي ماما لما تلاقي نفسك بتنامي بعين مفتوحة وعين

مقفولة من قلقك على هدية ربنا ليكي.. لما تقفي تتفرجي على ابنك وهو بيزحف كأنه اخترع الذَّرَّة.. تبصي لبنتك وهي بتتمايل لأول مرة على رنة موبايلك وكأنها أخدت أوسكار أحسن فنانة..

لما بقيت ماما حاجات صغيرة أوي عملت فيَّ حاجات كبيرة أوي.

لقد نفد رصيدكم

(عفوا لقد نفدَ رصيدكم).. حتى لو اللي ابتكر الجملة دي كان قاصد بيها رصيد خط شركات المحمول لكن الحقيقة الأهم إنها جملة قوية ومعبرة جدًّا..

ناس كتير في حياتنا بيخذلونا، بيوصّلونا إننا نحس من جوانا اننا لازم نقولهم نفس الجملة دي (عفوًا لقد نفد رصيدكم).. (بأفعالكم، بسخافاتكم، بتحملنا ليكم كتير قبل ما نوصل للفرصة الأخيرة).. رصيدكم اللي ياما زوِّدناه وماطلبناش مقابل.. وصَّلتونا للنهاية، للباب اللي لازم يتقفل ومايتفتحش تاني.

إحساسنا اللي عمره ما خيِّب معاكم وخذلتوه.. عمرنا اللي ضاع جنبكم بمبررات مالهاش معنى زي العِشرة والعيش والملح ..

ساعات بتوصل في علاقتك مع إنسان إنك تبقى مرايته، الوجع بتحسه أوي لما تتشرخ المراية دي، لما إزازها يعوَّرك، يقطع شرايينك..

رصيد الناس دي في قلبك بيكون وديعة مستخسر تسحب منها في عمرك كله، فوايدها بتاخدها في صورة حب واهتمام وقرب. لحد ما بتتصطدم إنك حطيت فلوسك في شركة توظيف أموال نصبت عليك وخدت شقا عمرك وقالتلك بكل بجاحة مالكش حاجة عندنا.

صاحبي الجدع بزيادة

حد من صحابي عرض عليَّ يكتب بدالي فصل في كتابي!!.. خوفه عليَّ من ضغطي على نفسي عشان الكتاب يخلص وصَّله لأنه يفكر تفكير يكسر حاجز المنطق واللامنطق كمان.. إنكاره لذاته وتفكيره في حل يريحني حتى لو من ورا العقل هو معنى جديد ومبتكر لعلاقة إنسانية صعب فهمها.

عمر ما حد كتب مفهوم صح للصداقة.. يمكن لأنها أصعب كتير من إنها تبقى كلام على ورق..

إنك تلاقي حد واقف على طراطيف صوابعه بيراقب أحلامك، بيسندك، بيحب نظرة الحب اللي في عينيك للدنيا، بيشيل همك من فوق كتافك قبل مايحصل لك (أتب).. هي دي الصداقة (و أحيانًا الحب).

إن حد يستوعب رغيي، يديني الفرصة إني أتجنن، مرة اتكلم عن موسيقى عمر خيرت وتأثيرها العميق في حياتي وحبي له كراجل فريد من نوعه، وفجأة يتغير الموضوع وأحكي عن كلاس الزومبا اللي حضرته مع العلم إن الصاحب ده ممكن

أوي يكون آخر علمه بالزومبا إنها مقلب حد يعمله في التاني. الغريب إن نفس الحد ده هتلاقيه مهتم جدًّا وكله آذان صاغية وانا باحول كلامي لوصفة هايلة عملتها بإيديا في مطبخي أو عالمي الخاص.

شكرًا للصاحب الجدع بزيادة اللي بيصقفلي لما أكون عاقلة.. وبيستحملني وانا في أشد نوبات جنوني.

١٠٠ يوم سعادة

تحدي المِية يوم سعادة هو اختبار انتشر على السوشيال ميديا.. إنك تسجل كل يوم في المِية يوم إيه اللي خلاك سعيد.

تابعت باهتمام إيه الحاجات اللي خلت كل حد يقول انه سعيد. اكتشفت أسباب مهولة للسعادة!! ممكن حاجات صغيرة وعادية أوي في حياتك بتحصل كل يوم تبقى لغيرك بير اتفجَّر سعادة وفرحة..

فيه واحدة سعادتها في ساندوتش برجر وجنبه فرايز لارج لأنها عاملة نظام غذائي مهلك بتحارب بيه دهون اتراكمت في سنين طويلة، وحد لقى سعادته في كتاب مش قادر يقفله إلا لما يخلص عليه.. وناس لقت سعادتها في فلوس وغيرها لقت سعادتها في كوباية قهوة وسيجارة.. وأسباب تانية كتير ماتتعدش.

أما أنا فكانت سعادتي وانا بافهم معنى جديد للسعادة.. اكتشفت إن السعادة إنك تصحى كل يوم وانت مقرر إنك هتدعبس في كل لحظة في يومك عشان تطلَّع سبب واحد قدر يخليك سعيد.

الغربة

المغتربين هما أجدر الناس بوصفهم (ذوي القدرات الخاصة).. عشان تقدر تتعايش مع فكرة الغربة ده في حد ذاته قوة لا يمتلكها كل البشر..

أيا كان سبب الغربة (عشان تجمع فلوس او عشان تتعلم او حتى لمجرد انك كاره بلدك وناقم عليها وهربان منها لسجن العن من سجنك جواها) ففي كل الاحوال النهاية واحدة (إنك بعدت) ..

انك اخدت قرار وانت بكامل قواك العقلية انك مش مكمل، انك هتركب اول طيارة وتبص من شباكها المخيف وتتظاهر انك بطل ومش فارق معاك البعد..

بعد سنة واتنين بتكتشف إنك بقيت فعلًا بطل، إنك اتعودت تحس بالحنين لبلدك واللي فيها واللي منها يوم ولا اتنين وتخرس الحنين ده باقي ال 365 يوم (ده لو ماكانتش سنة كبيسة 366 يوم).

باعتقد دايمًا إن هدايا المغترب لأهله وهو نازل هي احتياج عاطفي منه هو مش منح ليهم.. هو اللي عنده الرغبة القوية في إنه يحس براحة ضميره ويديله جرعة مخدر تخليه قادر يواصل.. محاولته لتعويض أقرب المقربين منه عن غيابه واختفائه من حياتهم بينعكس في شنطة سفر مكتظة بالهدايا.

بعد ما السنين تجري بتكتشف إن وطنك اتحول للغربة الحقيقية بالنسبة لك لأن حياتك في البعد بقت هي الأصل..

صوت شادية وهي بتقول (فداكي أنا والولاد يابلادي فداكي) بيخضّه، بينفضه، بيفكّره إن ولاده ما اتربوش في بلده وفاتهم كتير.. إنه يقفل الأغنية ويكمم شادية أسهل له من إنه يبص لولاده ويفكر في احتمالية إنه يرجع بيهم مصر.

حاجة واحدة بتفضل مكبرة الذعر والخوف في قلبه: الموت.. إنه يقضي عمره كله بعيد عن مصر ومايرجعهاش غير في صندوق خشب على ضهر طيارة.. بتفضل الفكرة دي هاجس كل مغترب زي بالظبط فكرة إنه يفقد حد بيحبه وهو بعيد عنه من غير حتى نظرة الوداع الأخيرة اللي بنصبَّر نفسنا فيها. في الحالتين الموت هو الشبح اللي بيطارده في غربته. غير كده فالدنيا ماشية حتى لو على عكاز.

يارب تنجح ياتتح

أكبر كابوس بيعيشه الإنسان على مدار حياته هو الامتحان.. الإنسان بيمر بعدد مهول من الامتحانات اللي لازم يجتازها عشان يكمل حياته بنجاح.

من أول دخوله المدرسة والنظام العقيم للتعليم في بلادنا، وإنك لازم تكب جردل المعلومات اللي مالهاش أي ستين لازمة ده في دماغك عشان تقدر تعدي م الامتحان..

مرورًا بقى بامتحان مواهب وامتحان قدرات خاصة وامتحانات تأهيلية لدخول الجامعات.. ومانساش امتحان التقديم في كل وظيفة (ده لو لقينا)..

لسه ماخلصتش. الجواز نفسه امتحان، لازم تنجح وتثبت شطارتك في إنك اخترت صح..

تربيتك لولادك هي كمان امتحان.. حتى في الآخرة داخلين امتحان.

الضغط العصبي البشع اللي بيتعرض له الممتحن هو السبب الرئيسي في الرهبة اللي بتسكن معاه من صغره من مجرد ذِكر كلمة امتحان. الخوف اللي بيتملكه وقت انتظار النتيجة هو إحساس رسخناه جواه لما فهمناه وهو صغير إن اللي جاي من حياته متوقف على النتيجة دي.

يارب تنجح ياتتح.

عالم تاني

مابعرفش أقرا وانا ساكتة.. مابعرفش ما أعملش دوشة جوايا.. إزاي أقلب الصفحات وأوافق على اللي فيها كأنه أمر واقع ومسلَّم بيه؟.. لازم أحاور الأبطال وأجيبلهم صداع.

كنت باضحك على الرجالة اللي تتنطط قُدَّام ماتش كورة وتشتم الحكم وتوجه اللعيبة، وانا باعمل اللي ألعن منهم، باكلم بطل القصة وباغيَّر في الحوار وأعدِّله وباخطط وأشخبط وأكتب في كل صفحة وكأن مؤلف الكتاب كان مستني رأي البرنسيسة..

الكتب عالم تاني بنعيشه.. اللي ماداقش لذة القراية زي اللي عمره ماجرَّب يرقص حتى قُدّام مرايته.. الرقص ابتكار إنساني بيوصَّلك للسعادة الداخلية، بالظبط هي القراية كده.. مع نهاية كل كتاب بتعيش حالة سلام نفسي صعب توصل لها بأي عامل مساعد تاني.. في كل كتاب هتعيش كأنك شخص تاني.. ده نفس السبب اللي بيخلي الممثلين من وجهة نظري أقل عرضة للاكتئاب، إنهم كل يوم بيعيشوا شخصية جديدة، بيقولوا كلام نِفسهم يقولوه في الواقع ومش عارفين.. بين صفحات الكتاب بنهرب احنا كمان من رتابة الأيام وضغوطها علينا.

مازالت فكرة إني أقرا حروف مكتوبة إلكترونيا أو (بي دي إف) فكرة غريبة ومريبة ومرفوضة بالنسبة لي.. القراية هي ريحة الورق وصوت قلب كل صفحة اللي بيريح القلب ويشرحه.

نفسك تطلع إيه؟

كل طفل تسأله تحب تطلع إيه يقول ظابط.. وكل طفلة عاوزة تبقى ميس.. إلاااا ولادي..

أول ما كان حد يسألهم وهما صغيرين عاوزين تطلعوا إيه كانت إجاباتهم واحدة مابتتغيرش (أطلع زي ماما) !!.. طيب هي ماما إيه؟

إحساس رهيب إنك تحس إن حد مراقبك.. عاوز يكون انت.. عاوز يضحك بصوتك ويمشي مشيتك .

لما ابني الوحيد كبِر شوية وبقى يسمع ويفهم إننا داخلين على انتخابات رئاسية كان دايمًا يسألني ليه ما ترشحيش نفسك رئيسة جمهورية!! ولما عدى الوقت ودخلنا في انتخابات مجلس نواب كان نفس السؤال بيكبر جواه وعلى لسانه (حضرتك ليه ماتترشحيش؟)..

إحساس بالزهو (والفشخرة الداخلية العميقة) حسيته لما فهمت هو شايفني فين وازاي..

ولادنا في الواقع هُما أعظم وأقوى إنجاز أنجزناه في عمرنا.

بأقف قُدَّام أسئلة الأطفال المتلاحقة وانا عاجزة ومنبهرة.. فيه أطفال (زي ابني) تحسهم علامة استفهام كبيرة في صورة إنسان.

لو ماسألكش يعني إيه صباح الخير يبقى قصَّر في حق الكرة الأرضية ويخترع بعدها مِية سؤال..

كل سؤال بيشكِّل جزء مهم في شخصية ولادنا، وكل إجابة مننا مسئولة مسئولية كاملة عن تكوُّن إنسان جديد.

سوق الرجالة

في سوق الرجالة هتلاقي كل الأنواع..

أسوأهم على الإطلاق الراجل الطِّفِس اللي ياكل سنينك ومايشبعش.. الراجل اللي أول ما يدخل حياتك يبقى محتار يعيش دور كاظم الساهر ولا عمرو دياب وبمجرد مايتمكن (بعد مايتمسكن كالعادة طبعًا) يتحول بقُدرة قادر لحزلقوم.

الراجل اللي يملاكي طاقة سلبية، اللي م الآخر كده هوايته المفضلة تكسير مجاديفك.. وفجأة تلاقي نفسك بتسألي مرايتك هما الكام شعرة البيض دول ظهروا في شعري إمتى؟.. ظهروا وانتي مسلِّماه عمرك، وانتي بتقنعي نفسك إنّ ضِل راجل ولا ضِل حيطة رغم إن كل التجارب والخبرات توصلت لإن ضل الحيطة أقوى وأشد.

أسوأ راجل هو اللي يبدأ حياته معاكي بأوفر دوز مُحن.. وبعد السنين ما تجري منك تكتشفي إن ده كان أقوى دور مثله على خشبة المسرح.

خوف الست إنها ماتملكش حق الجواز من أربع رجالة بيخليها ترضى بالأمر الواقع وتسلِّم بيه.. يقينها إنها مش هترمي يمين الطلاق وقت ما تغضب ولا هتقدر

تستحمل نظرات مجتمع فاشل ليها وهي تحمل لقب مطلقة هو ده اللي بيخليها تكمل مع النوع ده من الرجالة.

أما الراجل الطِّفِس نفسه فبيتولد وهو عنده شغف التجربة، رغبة مُلِحّة في إنه ياكل السمكة لآخر حتة في ديلها..

إنه يجرَّب ال Package كاملة..

داخل وهو عارف هدفه ومحدده.. القضاء على كائن الأنثى.

حب ما تعمل
حتى تعمل ما تحب

قريت الجملة دي مرة على غلاف دفتر قديم.. حاولت أقنع نفسي بيها كتير، أوقات الظروف بتضطر الإنسان إنه يعمل حاجات كتير صعب يحبها، وساعات بيبقى مستحيل حبها..

لو اتعكست الجملة هتكون صادقة أكتر.. (اعمل ما تحب، حتى تحب ما تعمل).. لو ماعملتش غير اللي تحبه وبس، لو ما اشتغلتش غير في وظيفة تديك شعور بالاكتفاء النفسي، لو ما اتجوزتيش غير اللي يملا عينك، لو ماصاحبتش غير اللي شبهك.. تبقى عملت اللي بتحبه.. وقتها بس هتحب اللي بتعمله.

تصرفاتنا هي اللي بتولد الطاقة الإيجابية أو السلبية في حياتنا.. الناس اللي حوالينا مجرد حجة بنتحجج بيها عشان مانعترفش بالفشل..

غيَّري لون شعرك للون اللي بتحبيه حتى لو مش عاجب غيرك، ارقصي وغني واضحكي واكتبي كل حاجة مضايقاكي في ورقة وقطعيها مِية حتة، اشربي حاجة

متلجة في عز الحر واحضني المجّ السخن اللي بيدخن في وسط البرد.. ارفعي شابوه الإعجاب لنفسك، حبيها، اقفي قُدَّام مرايتك كل يوم قبل ما تخرجي وإحدفي لها بوسة في الهوا..

فكَّري دايمًا إنك مش هتعيشي العمر مرتين.. وكل لحظة سعادة بين إيديكي دلوقتي هتجري وراها بعدين ومش هتلاقيها.

رمز البهجة

لما ماتت سعاد حسني حصلت صدمة كبيرة للناس في الشارع.. حزنهم عليها ماكانش عادي رغم إن الموت سُنّة الحياة وهي ماماتتش شابة في العشرينات عشان خبر موتها يخضنا أوي كده.

لما ذاعوا خبر وفاة الأميرة ديانا العالم كله اتأثر، نبرة الحزن في صوت الناس وهي بتقول الخبر كانت غريبة.. أميرة بريطانية ماتمتش للمصرين بصِلة ورغم كده الحزن مسيطر عليهم ..

كل يوم بيموت مطرب أو فنان أو مَلِك، ماسيطرتش حالة الحزن بالشكل ده على المجتمع زي ما حصل في الحالتين دول وحالات قليلة تانية.

طيب ليه؟ ليه تلقّي خبر الموت ماكانش رد فعله واحد؟

سعاد حسني وديانا كانوا دايمًا رمز للبهجة، للحياة، للانفجار في الفرح.. صعب تقبل فكرة إن القلب اللي كل خلية فيه بتضخ حياة وقف نبضه. مش من السهل أبدًا إن العقل البشري يستوعب إن الناس اللي زي دي بتموت!! أومال احنا بكآبتنا وهمِّنا ده هنعمل إيه.

الزهايمر

لو السرطان سَمّوه المرض الخبيث فالزهايمر لازم يتسمى المرض المخيف.. خوف الإنسان من بكرة، من شيخوخته، من إصابته بمسح ذاكرته بأستيكة.

فكرة إني ما أقدرش أفتكر أنا كان إيه بيفرحني!! إني أكتئب وأنا مش فاكرة الحاجة دي كانت زمان بتكئبني كده ولالا..

إزاي أتخيل إن حياتي ممكن تبقى من غير (نوستالجيا) أو حنين للماضي.. يعني إيه ما يوحشنيش شكل صحابي اللي مابقيتش فاكراهم أصلًا.. إزاي ما أحنش لأغنية كنت باحبها.. يعني إيه أصلًا أفقد الشعور بالاحتياج لكل حاجة كانت بتملا كياني في يوم من الأيام.. مين يقدر يقنعني إن البومات الصور اللي مابتتقفلش من كتر اللي جواها ممكن ييجي يوم ما أفتكرش اصلا مين الناس دول.

هل خلايا المخ اللي بتتمرد على وظايفها دي ليها طريقة نوقفها ونفهمها غلطها؟.. الطف بينا وبعبادك يارب.

الطبطبة

في مسلسل لأعلى سعر نيللي كريم أخدوا منها بنتها. شعورها بالهزيمة والموت البطيء تخطَّى كل حاجة حواليها.

في مشهد أقل ما يوصف بيه إنه عبقري حاولت نيللي كريم تهرب من واقعها المؤلم، في المشهد نيللي كريم بتاكل فشار أو بمعنى أصح وادق بتلتهم الفشار.. مشهد كوميدي لسعيد صالح (سلطان) بيظهر على شاشة التلفزيون اللي قُدَّامها، صوت ضحكها بيعلا..

البطلة هنا مابتضحكش على جملة تضحك ولا إفّيه قاله الممثل.. دي بتصرخ، بتستنجد، بتخبي ملامحها وهي مدبوحة في ملامح تانية مش بتاعتها..

نبيل الحلفاوي (الأب) عمل إيه؟ ماقعدش جنبها اتفرج معاها وضحك، ولا جاب طبق فشار وكَمّل المسرحية معاها.. الأب صرخ فيها (حرام عليكي روحك)..

ماطبطبش عليها.. الطبطبة هنا زي حقنة الهوا اللي بتموِّت.

الطبطبة لو جت في الوقت الغلط بتقصف العمر.

.....

في نفس المسلسل في مشهد تاني نيللي كريم منهارة بتسأل البطل: (إنت عمرك ما جيت سألتني مالك.. فيكي ايه؟).. ولما بكل غباء سألها مالك ضربته.. لأن السؤال جه متأخر أوي.. لأنه ماطبطبش في الوقت اللي كانت هي مستنية فيه ده.

لما دماغي بتشطح

ليه بنحب القصص اللي الخير فيها بينتصر على الشر؟ ليه بنتنطط من الفرحة واحنا بنتفرج على فيلم ونسمع صوت سارينة البوليس (اللي لو بتحصل في الواقع يبقى رُحنا في داهية والحرامي هرب قبل الشرطة ما توصل لأول الشارع حتى).. ليه فرحنا احنا البنات واحنا صغيرين لما عرفنا إن الأمير لقى سندريلا ولبِّسها فردة الشوز.. ليه مصممين نمثل إننا (نون النسوة) مش شايفين راجل في الكون زي رشدي أباظة وعمر الشريف مع العلم إن كلنا لو رجع بينا الزمن لورا لا هنتمنى راجل مزواج زي رشدي ولا راجل رمى بيته ورا ضهره زي عمر..

ليه لما بنحكي حدوتة لازم نختمها بإن البطل والبطلة عاشوا في تبات ونبات وخلِّفوا صُبيان وبنات؟ ما يمكن ماخلِّفوش ويمكن اتطلقوا ويمكن كانت نهايتهم عند باب محكمة الأسرة..

طيب السؤال الأهم: ليه واحنا صغيرين لما كنا نتسئل في نهاية الحدوتة هي حلوة ولا ملتوتة كان لازم تكون إجابتنا قاطعة وحاسمة إنها حلوة.. مع إننا أصلًا مانعرفش الخيار التاني ده (ملتوتة) معناه إيه..

ليه دايمًا بنحاول نتظاهر إننا شايفين بس النُّص المليان في الكوباية وقال يعني مش واخدين بالنا إن فيه نُص تاني فاضي ومماليه الهوا..

الإجابة المؤكَّدة هي إننا بنهرب من واقع قاسي.. بقينا مش مستحملين أوجاع في خيالنا زي ما هيَّ في حياتنا.. بنجري دايمًا نستخبى في الركن المفرِح من القصة.. بنحط إيدينا على قلبنا خايفين للخيال يطلع مُر زي الواقع.

شهرزاد

لما قريت زمان قصص ألف ليلة وليلة وقفت كتير قُدَّام شخصية شهرزاد.

شهرزاد اللي دفعت تمن خيانة ست تانية من أعصابها وعمرها..

شهريار اللي مراته خانته مع عبيد قصره فقرر ينتقم من كل الستات ويتجوز كل يوم واحدة ويقتلها قبل الصباحية.. شخصية مريضة، مليانة عقد وكلاكيع، كان لازم قصته تتكتب في مجلدات العلاج النفسي مش الأساطير والقصص..

شهرزاد كانت بنت وزير شهريار.. من وجهة نظري (اللي لازم طبعًا تقتنعوا بيها) شهرزاد تعتبر أغبى نساء الأرض.

الست اللي توافق تعيش مع راجل وهي بتدفعله تمن كل ليلة زيادة في عمرها هي ست غبية.. الست اللي تضغط على أعصابها وهي عارفة إن الطرف التاني مكمل معاها بس عشان ليه عند الكلب حاجة فبيقول له يا سيدي هي ست غبية.. الست اللي تبقى عارفة إن لو وقفِت أو اتكعبلت هيتداس عليها وتموت تحت رجلين راجل ماحبتوش تبقى هي الغباء بعينه.

دايمًا تلاقي الأعمال الفنية اللي فيها شهرزاد شخصية محورية بتقوم بدورها

بطلة من جميلات السينما أو المسرح.. يمكن ده كان مقصود عشان نتلهي بجمالها عن التركيز مع نقاط ضعف الشخصية ومانفهمش غير إنها كانت ست حلوة ونحفظ عن ظهر قلب (وسكتت شهرزاد عن الكلام المباح) ونستنى زينا زي شهريار بكل بلاهة قصتها الجاية.

اتنين في واحد

كل واحد مننا مسكون بواحد تاني شكله في الشبه وعكسه في الطباع (على غرار أنا قرينك يازواوي)..

الرغبة اللي بتسكننا إننا نبقى حد تاني، نبقى واحد مش شبهنا، نعمل حاجات مختلفة عن اللي عايشينه.. تبقى بتكره منظر الناس اللي بتشيِّش وتعشق صوت وريحة الشيشة.. تبقى بتنتقد البنت اللي لبسها مكشوف وعينيك بتاكلها.. تبقي بتكرهي الراجل اللي عينه زايغة بس بتفرحي لو زاغت عليكي انتي..

تشتم في سرك ابن الجيران اللي يعمل دوشة تصحيك من أحلى نومة وتدعي لابنك بصوت عالي ربنا يسعده لو لعب في نفس المكان.

العلاقة المتدهورة بين اللي عايشينه واللي بنتمناه علاقة مبهمة صعب فهمها.

قصص قصيرة

ليست الأمور غالبًا كما تبدو عليه. وراء كل قصة تعرفها قصة لا تعرفها!..
فلا تستعجل بإصدار الأحكام

حديث الصباح

أدهم الشرقاوي

ذات الرداءِ الأسود

لاتؤذِ قلبًا رقَّ لك يومًا فلحظات الود لها عليك ألف حقٍّ وحقٍّ.

جلال الدين الرومي

لا أعلم لماذا أكتب إليك الآن؟ بعد سنوات مرت ثقيلة الخُطى.. أي دافع دفعني نحو أوراقي لأبثها ما أشعر به.

أي حنين أتى بي إليك؟

ربما لن تقرأ أسطري الآن ولكنها حتمًا ستصلك ولو بعد حين.

أيا رجلٌ نسجَ بيديه خيوط مشاعري فحوَّلها إلى قصة حب جامحة تتداولها المجالس..

طفلتك الصغيرة نضجت. صارت تكتب رسائل كالكبار. هجرت كتب التلوين الطفولية ووجدت لذة أخرى في خط الأسطر المفعمة بالأحزان.

لن تدرك ما فعلت بي لأنني أبدًا ما أخبرتك..

(ذات الرداء الأسود) _كما أسميتني_ يا سيدي قرَّرَتْ أن تهجر السواد، أن تتلون، أن ترتدي كل الألوان إلا ذاك اللون الذي لطالما أحببتها به.

ذات الرداء الأسود أعلنت انتهاء حداد مشاعرها. خرجت عن صمتها. قرَّرت التشبث بحقها في الحياة.

أتذكر كيف كان لقاؤنا الأول. اللقاء العابر الذي لم يتجاوز دقائق كانت فيما بعد هي أُرجُوحتي من مشاعري الصغيرة إلى عالم كبير لا أنتمي إليه.

عاشقة موسيقاك.. حلمت مرارًا بيوم تجلس فيه بين جمهورك.. تراك رُأيّ العين لا من خلف شاشات زجاجية خرساء.

صغيرتك ذات الضفائر الطويلة تمد يدها إليك.. عيناها تحتضنانك، تغلفانك، تتجاوزان كل معاني الولَه التي قرأت عنها كثيرًا في كتب اختبأت سنوات طويلة تحت وسادتها.

أتذكر ذلك اليوم جيدًا.. الستائر الداكنة تغطي جدرانًا باردة. صوت موسيقاك يرج المكان _ويرجّني_.. جسدي الصغير يتمايل مع أنغام أنامل ذلك الرجل ذي الشيب الأبيض الجالس فوق المسرح..

شقيقتي الكبرى تنظر إليَّ وتضحك.. تربِّت فوق كتفي.. تنتابها فرحة عارمة لسعادتي.

أنا اليوم هاهُنا أراك بعدما أمضيت ليالي طوال أردد جملك الموسيقية سرًّا وأنا أحملق في ملامحك من خلف شاشة تلفاز منزلنا.. يا لها من شاشات سخيفة حجبتني مرارًا عنك.

حلمي بأن أراك كيانًا ملموسًا صار واقعًا. أنا اليوم بين صفوف معجبيك، واحدة من ضمن آلاف، لم أتخيل يومها أنني سأصبح فيما بعد قِصةً في حياتك أنت.

فور انتهاء الحفل شعرت برجفة تملأ جسدي الهزيل.. فستاني الأسود الصغير ينتفض بارتعاشة أطرافي. هرولت إلى ممر العاملين بالمسرح لأسال عنك. كيف السبيل إليك يارجل؟

حين لمحتك ازدادت دقات قلبي.. سمعتها.. وسمعتها شقيقتي من بعدي..

كل ما أتذكره أني ألقيت على مسامعك كلمات إطراء تعجز الذاكرة على استحضارها.. أخبرتك عن أحَبّ ألحانك لقلبي، عن اسم كل لحن وتاريخه.. حدَّثتك في دقائق عن سنوات انبهار برجل لم أكن أعرفه.

لن أنسى كلماتك، أسمعها حتى اليوم بصوتك الدافئ وأستعيدها.. (سعيد بمعرفتك يا صغيرة)..

صغيرة؟ مَن هي الصغيرة؟ صرخت بداخلي كيف يراني طفلة؟ تبًّا لضفائري.. أمي تتشبث بها ولطالما وافقتها وها أنا اليوم أدفع الثمن..

(أنا لست صغيرة، أنا في السادسة عشر)!! هكذا صرخت فيك منفعلة.. استدرت ضاحكًا واقتربت منِّي وهمست لي: "سعيد بمعرفتك يا ذات الفستان الأسود والضفائر السوداء"..

كيف أَسَرْتَني يا رجل؟ كيف جعلت من ردائي تميمة حظ لا أهجرها؟ كيف حوَّلتَ لونًا قاتمًا للون الفرح في عمري؟ كيف وشمتني بذاك اللقب؟

تمر الأشهر ولا أعلم عنك شيئًا إلا أخبارًا قصيرة وكأن كاتبها أصرَّ على جَلدي حين كتبها بهذا الشكل.

ذات ليلة، كنت أخط فيها رسالة لك، وأنا أدري مصيرها مسبقًا، سلة القمامة كسابقاتها من أخواتها..

سمعت صوت شقيقتي تسأل عني، نبراتها تدلني أن بين شفتيها أخبارًا سارة، أحفظها عن ظهر قلب، صوتها كم طمأنني مرات ومرات..

"حفلة جديدة في الغد، والتذاكر في حقيبتي".. قالتها شقيقتي ليتوقف قلبي لبرهة.. آاااااه من الفرحة حين تُوقف القلب..

في مساء اليوم التالي كنت في الصفوف الأمامية أنتظرك بين المئات.. عيناي معلقتان بالبيانو الخاص بك.. أكاد أصرخ في كل من حولي.. أصواتهم لا تُطاَق في مثل هذا الوقت.. في لحظات الانتظار.

انتهى الحفل وأنا تائهة، لا أتذكر أي ألحانٍ عزفتَ، ولا بأي لحن أنهيت حفلتك.. كل ما أدركه أنك نظرت لي، نعم.. أقسمت لشقيقتي أنك كنت معي أنا، نظراتك لم تفارقني.. كانت تضحك كالبلهاء غير مصدقة.. للمرة الأولى أنفر من رفقتها.. الأهم الآن هو الطريق إليك..

رحلة البحث عنك لم تستغرق دقائق.. أنظر إليك وعيناي تلمعان، ها أنا ذا وجدتك يا رجل.. أشب على أناملي كراقصات الباليه لأراك وسط هذا الزحام المحيط بك.. آه منها الجينات الحقيرة التي جعلتني قصيرة كجدتي.

فجأة ألمح رأسك تعلو من بينهم، تشير إليَّ، (أنا؟) صرخت بها مرتجفة.. (نعم أنتِ بلوني المفضل)..

قلتها ولم تدرك وقتها أني تمنيت لو أن كل الألوان الأخرى اختفت وتبقَّى فقط لون ردائي.. لونك المفضل؛ اللون الأسود.

ساعات مرت ونحن نتبادل الحديث.. مسرح خاوٍ يجمعنا. لا أحد سوانا.. اللهم إلا شقيقتي أراها من بعيد بجوار باب المسرح تنتظرني.

كان وداعي لك وداعًا تملأه السعادة.. كنت موقنة أنه وداع مؤقت.. أنه مجرد بداية للقاء قادم وربما لقاءات.

.....

صار حديثنا اليومي هو وقت الفرح في عمري.. أنتظر مكالمتك الهاتفية لتهديني السعادة التي أنتظرها.. لم أنتظر منك أبدًا اعترافًا بمشاعرك تجاهي، حديثك العفوي المرسل وصوتك الدافيء كانا كفيلين باخباري بكل شيء ..

صرت رفيقًا لك في حفلاتك.. أنا والبيانو الخاص بك، شيئان لا يفارقانك.. الكل صار يلحظ وجودي.. الكل صار يدرك من أنا في حياتك أنت..

عامٌ مرَّ، ولكنه أضاف لعمري أعوامًا وأعوامًا.. ما اجتزته معك لم أعرفه في سنواتي كلها.

أيام قليلة مرت بعد ذكرانا السنوية الأولى.. أقف أمام مرآتي تنتابني الحيرة كيف أصفف شعري لألقاك.. أخيرًا تحررت من ضفيرة أمي ومن قيدِها.. كانت أمي

على دراية بما يكنه قلبي وبقصتنا، ولكنها أبدًا لم تكن سعيدة بعلاقة طفلتها ذات الضفائر برجل يكبر أباها الراحل عمرًا.

لأول مرة حين أراك ينتابني هذا الإحساس.. دقات قلبي مختلفة.. شيء فيك يخيفني اليوم يا رجل.. شيء فيك يخبرني أن عينيك تخبئان سرًّا يهدد أيامي.

(أنا متزوج)!!.. سمعتك تقولها ولكنني تجاهلت الجملة.. حاولت إقناع قلبي قبل عقلي أنك تمزح مزحة سخيفة.. حاولت التظاهر بالابتسام ولكنها ملامحي أبت أن تفعل.

(متزوج؟ وأنا؟).. (أنتِ حبيبتي)..

يالجرأتك !! عفوًا.. يالوقاحتك!!..

وأين كانت جملتك الخبرية هذه منذ عام كامل؟ أين كانت هذه المرأة البلهاء التي لم تستشعر رائحة جلدي في كفيك؟ كيف لم تلحظ مكالماتنا الهاتفية اليومية؟ أين هي في حفلاتك؟ كيف وأين ومتى ولماذا وكل أدوات الاستفهام التي عرفتها الآن تغمرني..

أتذكر مبرراتك الغبية مثلك.. (أُمّ أبنائي).. مثلك مثل كل رجل شرقي تملأك الأنانية.. هي الخادمة ذات الورقة المختومة بختم المأذون.. دورها يقتصر عند باب منزل تودعك خلفه قبل كل حفل وتقرأ المعوذتين على قلبك ليبدأ دوري أنا.. كيف تخطيت كل المبادئ والأعراف وأهنتني بهذا الوضع؟ كيف رأيتك يومًا عملاقًا يا قزمًا بين الرجال؟

هل أشفق عليها؟ أم أكرهها؟

(أنا أكرهك) قلتها لك وأنا أبكي.. دموعي أنهكت الفستان الأسود.. بلّلته..

(لماذا تركتني أحبك؟.. لا أنتظر منك إجابة لأني أعلمها.. أنانيتك جعلتك تفعل ذلك)..

لن تفهم ما أنا فيه الآن.. ضفائري حللتها من أجلك أنت.. تمنيت أن أشيب بين أحضانك وأنا بعيدة كل البعد حتى عن العشرين عامًا.. حلمت مرارًا أني تلك المرأة خلف أعظم الرجال في عيني.

(سأرحل).. قلتها والألم يعتصرني.. لم أرَك وقتها.. أو ربما توهمت ذلك لأنني أريده.

قصة عامٍ أنهيتها بكلمة.. أخذتُ قراري بالابتعاد عنك ولو كان البعد مرادفًا للموت في لغتي.

لن أخبرك كيف مرت السنوات دونك.. ولن أقص على مسامعك كيف لقنت قلبي القسوة لينساك.. اليوم فقط قررت أن أكتب ما فعلت بي.. لعلي أجد في أسطري مواساة لقلبي.

تمت

آلة الزمن

أقصى درجات السعادة هو أن نجد من يُحبنا فعلًا.. يحبنا على ما نحن عليه.. أو بمعنى أدق يحبنا برغم ما نحن عليه.

نجيب محفوظ

في مقهى صغير اشتهر بأنه ملتقى الكتاب الشباب جلست البطلة تحتسي قهوتها المُرَّة كأيامها. أنفاس سيجارتها تغطي ملامحها الحادة. لون أحمر الشفاه الذي اختارته يزيدها حدة. أظافرها الطويلة توحي لمن يقترب منها بموجز عن شخصيتها المدللة التي لا تعرف لأعمال المنزل طريقًا..

جلست تكتب وكأنها انتقلت بأسطرها إلى عالمٍ آخر.. تتوه فيه.. تتهرب من واقعٍ أليمٍ.. كيف تبحث عن حلول لمشاكل القراء العاطفية وسقطاتهم في الحب وهي لا تعرفه؟

في كل ردٍّ تكتبه شيءٌ منه، جزء من حديثه.. رجل لم يتجاوز أحلامها.. لا وُجود له إلا في ماضيها واستحضارها له.. كم تمنت لو كان بين قراء صفحتها ليعرف ما تمر به.. كم تمنت لو أتى لترمي بين ذراعيه فتهدأ ثورة أفكارها.

الجو من حولها معبَّأ بالدخان.. فالمقهى ضيق ولا مجال للتهوية.. أغنية (الأماكن كلها مشتاقة ليك) في الخلفية وكأنها تجبر جرحًا اندمل قديمًا على التقيح.

في الجزء الآخر من المقهى كان يجلس هو.. رجل تخطى الأربعين ببضع سنوات. يكاد لا يرفع عينيه من فوق وريقاته. يكتب بسرعة تلفت الأنظار.

انتهى من كتابة شوطٍ كبيرٍ من كتابه اليوم . يلملم أوراقه في سرعة تضاهي سرعة كتابته. يهرول نحو الباب الخشبي الصغير ليلمحها في طاولة هي الأقرب لباب الخروج. يقف صامتًا متأملًا.. يقترب منها وابتسامته تكسو ملامحه.

إنتي مش فاكراني؟

تتردد كثيراً قبل أن تجيبه.. تنظر إليه محملقة غير مصدقة..

إنت؟

وكأن في سؤالها له آلة تعبر بهما الزمان.. تجتاز سنوات لتعيدهما لذلك المدرَّج الخشبي العتيق في أروقة الحرم الجامعي حيث كانت تدرس الأدب، كان هو مدرس المادة الوسيم، المطارد بنظرات الإعجاب من كل فتاة تعبر هذا المحراب.

(لسه حلوة زي ما انتي)..

(ولسه كلامك حلو زي ما هو) ..

ملامحها تبدلت، هدأت، وكأن الحدة كانت علامة من علامات الزمن البغيض فرضت عليها.. في لحظة تحولت لجميلة من جميلات الاساطير التي كانت تقرأها.. بدت كمسحورة ألقى عليها أحدهم تعويذة ما.

(ممكن أقعد؟).. لم ينتظر إجابة منها فهي معلومة لكليهما..

تبادلا أطراف الحديث.. لم يلحظا كم مرَّ من الوقت إلا حين قال لهما العامل (تحبوا تطلبوا حاجة قبل ما نقفل؟)..

وقتها أدركا أن شيئًا لم يتغير.. ما زالت حربهما مع الزمن قائمة.. ما زال هراء الأيام يلاحقهما..

لم يعترف أحد منهم أبدًا للآخر بحبه، ولكنها العيون فضحت كل شيء. كل منهما كان يعلم أي جزء احتل في قلب الآخر ولكنه أبدًا لم يخبره..

فرق السن ظل حاجزًا بينهما إلى الأبد.. الخوف من نظرات مجتمع أبله جعل من اعترافهما كالجهر بالمعصية..

كل كتب إرشادات هجر الحبيب ومواجهة قسوة بعاده لم تجدِ معها.. ما زالت

حتى اليوم تكتب عنه.. تغني له.. ما زالت تتذكر صلابة ملامحه حين يمر أحد الطلبة وهي تقف معه أمام مكتبه.

"لسه بتقري لنزار".. سألها وهما يعبران الطريق المقابل لباب المقهى..

"وكيف لا أقرأ له وهو أنت؟".. قالتها في صمت.. قصائد نزار هي من جمعتهما يومًا.. بداية تعارفهما كان نقاشًا محتدًا حول قصيدة لنزار..

حتى اليوم تقرأ له.. الأسطر النزارية هي لملمة لرفات مشاعرها..

"لسه بتشرب قهوتك سادة؟".. سألته وهي تتمنى لو أن الإجابة نعم لتتأكد أنها ما زالت تحفظه عن ظهر قلب..

"مفيش حاجة فيَّ اتغيرت، كل حاجة، حتى قهوتي".. قالها وهو ينظر إليها وكأن عبارته تعني الكثير.. ما مِن شيءٍ تغيَّر.. ملامحك، صوتك، مفرداتك، قهوتك، وقلبك.

"أنا وصلت".. همسَتْ بها وكأنها تتمنى لو لم يسمعها ..

"دورت عليكي سنين".. يقولها لنفسه وعيناه تراقبان باب المنزل في فرح كأنه وجد ضالته المنشودة.

"هاشوفك تاني".. تمد يدها تأخذ منه كارتًا صغيرًا يحمل اسمه ورقم هاتفه وكأنه يحمل اعتذارًا لهما من الزمن عمَّا فعلَ بهما.

تحتضن كتبها لأول مرة منذ أعوام طويلة.. كانت كفت عن ممارسة هذه العادة منذ تخرجت من الجامعة.. كانت تحتضنها طوال مشوارها للجامعة وكأنها تحتضن أحلامها.

اليوم فقط تجددت الأحلام . اليوم أدركت أن كتاباتها لم تكن إرهاصات.. كانت تكتب عنه وهي موقنة أنه عائد.

تمت

مُلهِمي

”أدركت أني أحببتها من أول نظرة، أدركت هذا فجأة، وهكذا المصائب دائمًا.. تحدث فجأة“

مكسيم غوركي/ العبودية

قلبها المنهك القوى أصبح غير قادرٍ على الحب.. قصة حب فاشلة أدمته.

وجدت في الكتابة دلالاً لقلبها المتعب. ففي الكلمات تسجيلٌ لعمرنا الهارب وأحلامنا الهشة.. أول كتاب نُشِرَ لها كان بمثابة عملية الإفاقة من التخدير بعد جراحة صعبة.

كتبت على ورقة ملونة صغيرة: "أكبر فاجعة عندما تدخلين معركة النسيان، اكتشافك أن حواسك خانتك، وأن عليك إنْ شئتِ إخراج هذا الجن العاطفي من جسدك، أن تعلني الحرب على نفسك، أن تقولي لا بملء صوتك لحاسة تذكرك بعطره وأخرى بصوته".. ألصقتها في ركنٍ صغيرٍ فوق مرآتها لعلها تقرأها كل صباح فتكرهه.. عبارات "أحلام مستغانمي" شكَّلت وجدانها فكانت الكاتبة الأقرب إلى قلبها، هذه الجزائرية التي حظت كتاباتها بالنصيب الأكبر من القارئات النساء، ففي كتابها "نسيان دوت كوم" وجدت كل امرأة مهزومة وصفة سحرية لتناسي هذا الملعون المسمى خطأ بالرجل.

عامان مرَّا وهي تدفن نفسها بين الأوراق.. كانت تشعر مرارًا أنها في أشد الاحتياج إلى شيءٍ يكسر رتابة أيامها، إلى ملهم.. إلى رجل تصبح كتاباتها على ذمته.

لم تكن من الإناث التي يتقن فنَّ الحديث عن نفسهن إلا فوق صفحات تخطها في غرفتها الصغيرة. كانت مستمعة جيدة للجميع، نادرة البوح بما يكن صدرها..

أقرب المقربات منها كانت جارة لها.. لم تكن أبدًا بمثابة صديقة ولكنها كانت أنيس وحدتها ورفيق سنوات طوال، فللصداقة عندها مدلول مختلف لم تعشه.

في مكالمة هاتفية لم تتعد دقائق، أخبرتها جارتها أنها ستنتظرها في الغد حيث يقام حفل عيد ميلادها في مطعم قريب لا يبتعد كثيراً عن منزلهما.. لم تمنحها حق اتخاذ القرار.. كانت المكالمة بمثابة إبلاغ بموعد حتمي.

في اليوم التالي فتحت عينيها المرهقتين بصعوبة بالغة فقد قضت ليلة طويلة مع صفحات كتابها الجديد. سرعان ما تأنقت وهرولت نحو مكان الحفل لعلها تكون في أوائل صفوف المهنِّئين بمولد المقربة الوحيدة من قلبها.

يالصخب المكان! لم تشهد من قبل حفلاً بهذا الازدحام.. تسللت إلى شرفة صغيرة في المطعم، مدَّت يدها داخل حقيبتها الصغيرة وأخرجت بقايا قطعة من الشوكولاتة الداكنة التي اعتادت أن تحملها معها أينما ذهبت فربما تستطيع أن تعلو بهرمون سعادتها وقتما شاءت أو هكذا اعتقدت.

لم يعكر صفو هدوء الشرفة إلا ضحكة رجالية عالية، قهقهة توحي بهمجية صاحبها.. نظرإليها وهو ممسك بهاتفه المحمول ومستمر في محادثته، تسمرت عيناه على وجهها بجرأة تصل إلى حد الوقاحة.

انهى مكالمته ومدَّ يده إليها في سلام حميمي وكأنما يعرفها من سنوات: "آسف أزعجتك"!!..

لم تستطع أن تتمالك ضحكاتها العالية.. (أزعجتني؟ أنت فزعتني)..

طاقة ثرثرة طفولية تملكتها، ربما لم تعرفها من زمن، ربما منذ كانت طفلة في المدرسة تنتظر أسئلة معلماتها لتسرع بالإجابة ثم تعقبها بالكثير من نفس الثرثرة.

كلماته المتتالية فجَّرت بركانها الكامن، لم تستطع إخفاء انبهارها به واهتمامها بحديثه..

(إنتي فين قلبت عليكي الدنيا) . لم يقطع حديثهما إلا صوت جارتها صاحبة الحفل..

(إنتوا تعرفوا بعض؟) وجَّهت السؤال لكليهما.. ثوانٍ ساد فيها صمت رهيب..

(لا).. نطقاها سويًّا وكأنهما على اتفاقٍ مسبق.. لم تستطع إجابتهما أن تزيل نظرة الدهشة التي علت وجه الفتاة.. ضحكة عالية هزت أرجاء الشُّرفَة، وكأنما تعمد أن تعلو ضحكته لينهي حالة الارتباك.

تتبعها بكلمات سريعة (اتعرفنا دلوقتي بس نسيت أقول لها إني عمك الصغير)..

مرَّ اليوم سريعًا وعلى باب المطعم أخبرها أنه سينتظر نسخة من كتابها ليقرأه.. وعدته بأنها ستهديه كتابها الثاني أيضًا ليقرأه قبل الجميع.. سارت نحو سيارتها وعيناه تتبعانها بشغف.

في اليوم التالي تملكتها رغبة جارفة في إنهاء كتابها الجديد.. تكتب ثم تدندن ببعض من كلمات أغانيها المفضلة.. وبينما هي في هذه الحالة رن هاتفها المحمول بنفس الأغنية التي كانت تستحضر كلماتها.. ابتسمت ابتسامة واسعة وهي ترد على رقمٍ لا تعرفه..

(فين الكتاب؟).. يالجرأتك، عرفنا بعضنا منذ نصف يومٍ والآن تحدثني وكأني خلفت وعدًا معك!..

كم كان يؤرقني تلصُّص الغرباء واليوم أنا في حالة عشق لهذا التتبع..

لا أدري كيف أصبحت مكالماتنا عادة.. ولا متى صرت على هذا النحو من الجنون.. حتى رفيقاتي لم يستطعن أن يدفعنني نحو مشاركتهن في لحظاتهن المجنونة طوال سنواتنا معًا.

كانت المكالمات اليومية الطويلة في نهايتها وعد لا يقال بلقاءٍ في الغد.

تعمقت أحاديثهما.. أصبحت شغوفة به. صار صندوقها الأسود، عرف عنها ما لم تخبر به بشرًا.. أخرجها من قمقم صمتها، عرفت بين يديه العتق من رتابة الأيام المتشابهة.

في ليلة شديدة البرودة فاجأها بأنه ينتظرها أسفل شُرفتها.. (يلا انزلي أنا تحت)..!!

وكأنه قرَّر أن يكلل هذه القصة بنهاية مجنونة تليق بأحداثها السريعة..

لم تكن في حالة جسدية تسمح لها بالتسكع في هذا الطقس ليلًا فهي ممن يكرهن الأجواء الباردة ويحتمين في الدفء.. ولكن شعورها ببرودة أطرافها لم يقوَ على إنكار لهفتها لهذا اللقاء.. تعطُّشها إلى أن تكون إلى جواره.

دقات قلبها تتسارع وهي تهبط درجات سلم منزلها. تضحك مع نفسها متسائلة كيف فجَّر هذا الغريب كل هذا الكم من البهجة في حياتها.

أغلق زجاج سيارته لعل الدفء يملأ المكان.. تعالت ضحكاتهما وحديثهما و.. وأصوات صرخاتهما الطروب.

نظراته المفعمة بالشغف اخترقتها. أكَّدت لها أنه جاء ليكون ملهمًا لها لتسطر من جديد قِصةً تكون هي كاتبتها وبطلتها في آنٍ واحدٍ فقد سئمت أن تكتب عن تجارب الآخرين.

صار الخوف من فقده هاجسًا يستوطن قلبها.. (الحب الكبير يخيف رجلًا ما عرف قبلك امرأة).. من جديد تطفو عبارات (أحلام مستغانمي) على سطح ذاكرتها فيقشعر لها بدنها..

انتهت أخيرًا من كتابها بسرعة لم تألفها من قبل، وظهر وليدها الجديد للأنوار.

نجاح كتابها نجاحًا باهرًا لم يشغل حيزًا ولو قليلاً من تفكيرها.. فهي الآن في ذروة تصالحها مع نفسها. هي الآن عاشقة.

توالت لقاءاتهما.. تلى على مسامعها كل الكلمات التي حلمت يومًا أن تسمعها، كلمات فاقت كل ما كتبته على لسان أبطال رواياتها.

كثيرًا ما سألت نفسها كيف كانت ستكون حياتها إن لم يكن هو فيها؟

في صباح يوم دافئ كان موعدهما.. كالعادة كان هو في الانتظار وتأخرت هي قليلًا.. حقٌّ مشروع لكل أنثى أن تتأخر على موعدها الغرامي كنوعٍ من الدلال وربما بمبرر التجمل.

أمضت الليلة السابقة متعبةً، لم يغمض لها جفن، أفكار متشعبة تملأ رأسها وتختنق في زواياه. كيف لم تقص عليه قصة حبها الأولى رغم كل ما بينهما؟ هل سيعتبره غشًا؟ هل سيستنكره كعادة الرجل الشرقي المتناقض؟ الذي يألف أن يقص مغامراته النسائية بكل يُسرٍ ولكنه يأبى أن تدخل حياته امرأة عرف رجلاً قبله طريقًا إلى قلبها.

أخذت قرارها بكل قوة ألا يمضي هذا اللقاء كغيره.. ستخبره بقصتها كاملة.. سيكون البوح اليوم هو سيد الموقف.

مرت الساعة الأولى من اللقاء وهي تروي له كيف عانت في قصة حب فاشلة.. كيف كانت غصة الحلق وتحجر الدمع في نهاياتها.. أخبرته بتفاصيل دقيقة لم تتذكرها إلا اليوم وهي معه.

قدماها ترتجفان فتصدر صوتًا خافتًا كلما ارتطمتا بخشب الطاولة.. يدها تمتد الى كوبٍ من الماء كل دقيقة لعلها تنقذها مما هي فيه.. تحتضنها دون أن ترشف منها رشفة واحدة.

كان ينصت لها مبتسمًا دون أن يقاطعها.. يضغط على أناملها برفقٍ كلما زاد بكاؤها.. كان يشعر كيف هربت الحياة من أوصالها وهي تقص عليه كيف عانت

العذاب في حب رجلٍ غيره.. كانت عيناها تطلبان الصفح وكان هو مشفقًا عليها من فرط جلدها لذاتها.

دفعه الفضول ليسألها "لسه بتحبيه؟".. تجمد الدم بعروقه منتظرًا إجابتها.. أخذت يده ووضعتها على قلبها قائلة: (بأحبك) ...

نظر إليها في سكون، استجمع ما تبقى من أفكاره، لملم نفسه وأمسك يديها والابتسامة تملأ وجهه تمامًا مثلما رأته في اللقاء الأول.

"تتجوزيني؟".. بكلمة واحدة وضع نهاية لقصتها الجديدة.. قصة حياتها.

تمت

يا قرة العينِ

وبكل هشاشتك لا يحق لك أن تميل لأن ثمة مَن يتكئ عليك.

شارل بودلير

تقود سيارتها بسرعة جنونية في طريق لا يزيد اتساعه على بضعة أمتار.. لم تحدد وِجهتها بَعدُ.. هاربة هي من نفسها ومن وجوه تعرفها، تبحث عن مخبأ تُطلِق فيه دموعها العصية.. اليوم سقطَ عمرها سهوًا..

للتو خرجت من غرفة الكشف لَدى الطبيب المشرِف على حملها.. (آسفٌ إني أقول لك إن كل الفحوصات بتأكد إن الطفل مصاب بمتلازمة داون).. من غير العادل أن تقضي كل هذه السنوات بدون حمل وحين يئنّ رحمها تحت وطأة هذا الثقل يصفعها القدر بلطمته الغادرة.. من غير العادل أن يُدهَس حلمها.

للحظة توقف عقلها تمامًا.. ربت الطبيب على كتفها في حنانٍ بلمساتٍ غير مقصودة.. تكره شعور أحدٍ بالشفقة تجاهها.. هذا الطبيب الذي حكت لصديقاتها مئات المرات عنه وعن وسامته وهي تداعبهن بأنها لو تأخرت في الزواج قليلاً لكانت تزوجت منه، اليوم تراه كبطل لأفلام الرعب التي أدمنتها لسنوات.. يالقسوته.

كم دعت الله لسنوات أن يرزقها طفلًا يعيد البهجة لحياتها الزوجية الرتيبة.. لماذا لم يستجب الله وقد تحرت أماكن ومواقيت استجابة الدعاء؟.. لم تتوانَ يومًا منذ سنوات عن الإلحاح في دعاءٍ واحدٍ لم يتغير.. لم تحلم في عمرها يومًا إلا أن تكون أمًا.

غادرت عيادة الطبيب دون أن تسمع باقي الحديث ودون أن ترُدّ بكلمة واحدة.. يكاد نبضها أن يتوقف من هول المفاجأة.

سنوات من عمرها وسيارتها هي أقرب أصدقائها لقلبها، تحفظ سرها، تشاركها لحظاتها السعيدة والتعيسة. ترافقها إلى أحب الأماكن لها.

صوت هاتفها يصم الآذان.. نغمة خصصتها لزوجها منذ سنوات ولم تتغير.. لا تأبَه بالرد، يستعصي عليها أن تخبره بما عرفت.. ربما سيتفهم مشاعرها ولكن هذا أبدًا لا يعنيها.

مئات الأفكار تجول بخاطرها الآن.. هل هي السبب فيما حدث؟ ربما لأنها تأخرت في الزواج حين فضَّلت أن تكمل الدراسات العُليا بعد التخرج وتعللت بالدراسة لسنواتٍ لتأجيل الزواج.. ربما لأنها اتبعت أنظمة غذائية مختلفة على مدار سنواتها لتحتفظ برشاقتها.. هل هذه الأسباب عِلميًّا من الممكن أن تفعل ذلك بصغيرها؟ أم هي هوايتها في جلدها لذاتها قد برزت من جديدٍ.

مرت الساعات التالية كسنواتٍ طويلة.. تملَّكَها التعب. بعد طول تفكير قررت العودة إلى المنزل، هاتفت أمها في الطريق وأخبرتها أنها ذاهبة إليها، في رسالة نَصية مقتضبة قالت لزوجها: "أنا رايحة لماما، هاستناك هناك"..

ما إن فتحت أمها الباب حتى رمت نفسها بين أحضانها، آه من رائحتك يا أمي كم تهديني الطمأنينة، آه من حضنك يسرقني من تعاستي..

جرس الباب جعلها تنتفض.. زوجها يدخل مذعورًا (مالك؟ حصل إيه؟) ..

قصت عليهما ما قاله الطبيب المعالج.. بكت أمها طويلاً وهي تحتضن صغيرتها، كيف لهذه الطفلة أن تكبر قبل الأوان وتحتمل كل هذا الألم.. "ليه يارب؟"..

احتضنها زوجها بابتسامة دامعة "ولايهمك انتي قدّها وقدود".. لم تستطع كلماته الحنونة أن تنتشلها مما هي فيه.. كادت الأفكار تعصف برأسها.. صوت الطبيب وكلمات المجاملة والمواساة منه تلاحقها.

مرت الأشهر واقترب موعد الولادة.. هذه العملية الفسيولوجية الإلهية الصعبة. اقتضت الأعراف بأن تستعد المرأة الحامل لقدوم هذا الكائن الصغير بالتكهن باسم له وتجهيز ملابسه.. كانت خطواتها ثقيلة، لم يجاورها الفرح يومًا في الأسواق التي كانت ملاذها لأعوام.. حتى الاسم تركت اختياره لبعد الولادة.

****

في المستشفى جلست هي وزوجها ووالدتها في انتظار تجهيز الغرفة التي ستقيم فيها بعد الولادة..

"ماجبتيش حد من صاحباتك معاكي ليه؟" سألها زوجها.. لم تجبه.. أجابته دموعها.. كان يشعر بما تمر به، مشاعرها المهزوزة مفضوحة بالنسبة له، فالحمل الذي لطالما تمنته صار الإفصاح عنه عوارًا لا بُدَّ من التستر عليه ولو مؤقتًا..

في غرفة ذات جدران باردة فتحت عينيها لترى فتاة شابة في العشرينيات من عمرها ترتدي ملابس التمريض.. (حمد لله على سلامتك، ثواني هانناديهم من بره).. حدَّثتها المرضة وأسرعت نحو باب الغرفة.

في زاوية في أقصى الغرفة رأت سريرًا زجاجيًا صغيرًا.. "أكيد هو ده" حدَّثت نفسها..

دخل زوجها الغرفة، قبَّل جبينها وتبادلا الحديث لدقيقة ليس أكثر.. ثم اتّجه نحو نفس الزاوية التي نظرت إليها منذ قليل.. انحنى نحو السرير لترتفع ذراعاه بالصغير..

مشاعر خاصة احتلتها حين رأته للمرة الأولى.. ثَمَّة شيء أجبرها على إطالة النظر إليه.. شعرت أنها تلهث مع صوت أنفاسه وكأنه ما زال داخل رحمها.. كيف لهذا الصغير أن يحمل لون عينيها وكأنه يخبرها أنه يحبها.. كثيرًا ما تخيلت شكله، ملامحه، لون بشرته ولكنها أبدًا ماتخيلت أن يكون استنساخًا لصفاتها الشكلية..

أحبك يا قرة عيني.. هكذا شعرت تجاه صغيرها.. تضاءل إحساسها بالهزيمة أمام هذا الجسد الهزيل ..

****

مرَّ يومان وخرجت من المستشفى تحمل بين يديها هذا الإعجاز الإلهي.. فالأطفال في صغرهم هم إثبات عملي للمعجزات..

وصلت إلى المنزل، حملت هاتفها الصغير والتقطت به صورًا عديدة لهما معًا.. وبعد دقائق قليلة كانت تعلن بكل زهوٍ لأصدقائها عن قدوم مولودها الأول..

منذ النظرة الأولى له تطوَّر الأمر، تسرَّب حبه إلى حياتها عبر إسورة صغيرة حول معمصه تحمل اسم الأم، اسمها..

في الشهور القليلة التالية أدركت أن هذا الطفل جاء في هذ الوقت ليخترق حياتها البائسة وهي ترصد التغيرات التي طرأت على حياتها الزوجية في السنوات الأخيرة.

بذكاء وفطنة قررت أن تقضي وقتها المهدور في القراءة عما يمر به صغيرها وعما سيحدث في حياته لاحقًا وكيفية مواجهته.. لم تتوانَ في أن تكون له عونًا في كل اللحظات والظروف. لم تكن أبدًا امرأة عادية.. منذ نعومة أظفارها وهي شخصية مميزة، فريدة من نوعها، تجذب الأنظار.

عشر سنوات وهي تغوص في عالم التربية، تبحر بين شطآن الكتب والمحاضرات المختصة بحالة رجلها الأصغر.. تنقب في كل مكان عن السبيل لدفعه للأمام.. يخرجا سويًا للتنزه محتضنة إياه بكل قوة وكأنها تخبر الجميع أنها إلى جواره إلى الأبد. في كل مساء تطبع على جبينه قبلة وكأنها تهمس له "أحبك ياقرة العين".

لحظات من الصمت تسود قاعة الاحتفالات الكبرى في أحد الأندية العريقة في العاصمة.. تنظر إليه بكل فخر، وينظر إليها بكل حب..

اسمه يتردد بقوة في المايكرفون إعلانًا عن تنصيبه بطلًا للنادي في لعبته المفضلة (السباحة).. يقبِّل رأسها قبلَ صعودِه على المنصة وكأنه يوقع لها ببصمة ضمان أنه هدية الله لها.. وأن الله ما أخلف معها وعدًا حين قال (إنَّ معَ العُسرِ يُسرًا) .

التصفيق يعلو ودموعها تنساب لتغرق وجهها.. عشرة أعوام من الحب أهدتها فرحًا يكفي عمرها الآت.

تمت

العانس

العصافير التي اعتادت على الأقفاص حتى عندما يفتح لها باب القفص لا تطير. مع الوقت تنسى أن لديها أجنحة!.

محمد الرطيان

(اشتقت إليك فعلمني ألا أشتاق، علمني كيف أقص جذور هواك من الأعماااااااق).. ترتب غرفتها وهي تغني بصوت فيه ميوعة.. فأغنيات عبد الحليم حافظ هي جرعة يومية من منشطات الطاقة بالنسبة لها.. كانت كثيراً ما تفكر فيما فكر فيه نزار قباني حين كتب هذه الأغنية . هل كان يصدق فعلاً أن يتنازل طرف عن أنانيته ويساعد الآخر في تجاوز آلامه وإتمام عملية النسيان؟ هل تجاهل الشوق تدرَّب وممارسة أم نعمة من الخالق لا يدَ لمخلوق فيها؟

في بداية الثلاثينيات من عمرها. من يراها بالكاد يصدق أنها في التاسعة عشر. فساتينها الصارخة الأنوثة تكاد تظهر من جسدها أكثر مما تخفي.

أناقة منزل العائلة تدل على عراقتهم.. لوحات عريقة بألوان زاهية تكسو الجدران العالية..

رائحة البخور الخليجي تفوح في الأرجاء.. بيانو ضخم أسود اللون يحتل مساحة كبيرة في مدخل المنزل ليزيده فخامة.

"ماتنسيش المعاد النهارده الساعة سبعة" صوت أمها يبرز خافتًا في خلفية أغنية عبد الحليم.. لا تلتفت لها، تكمل الغناء وتتمايل بنعومة (تفوق نبيلة عبيد في خطواتها الراقصة)..

تحاول أن تهرب من التفكير في ميعاد المساء بين أنغام الموجي وصوت العندليب.

عريس آخر، غريب جديد، ما معنى أن يتزوجني رجلٌ لا أعرف عنه إلا اسمه ولا يعرف عني إلا صورتي؟ ألم يخبره أحد أننا انتقلنا إلى قرنٍ جديدٍ ولم نعد في عصر الجواري؟

كانت تنفر بشدة من مجرد التفكير فيما يجب عليها أن تفعله وهي تستقبل هذا الوافد القادم ليتفحص مدى صلاحيتها لتكون زوجة مستقبلية له.

قصة مكررة بائسة تحدث يوميًا في كل بيت.. شعور مُربك أن يعلم أنها وافقت على أن يتم عرضها للبيع على يد أبيها وأمها..

لم تستغرق زيارة الضيف وأهله أكثر من ساعة، لم تنطق فيها هي بحرف واحد.. كان الوجوم يسيطر على ملامحها.. كل ما سمعته أنه قال لأبيها مودعًا "مستنيين ردكم"..

ما إن تم غلق الباب حتى سارعت إلى غرفتها، بكَت كما لم تبكِ من قبل.. تعي جيدًا ما ستسمعه من أمها بعد لحظات..

أطلت الأم برأسها ترمقها بنظرة حادة، تتبَّع الأب خطواتها حتى دخلا الغرفة.. "انتي فاكرة نفسك لسة صغيرة؟".. هبت واقفة صارخة فيهما: "عارفة اني مش صغيرة بس مش عاوزة أتجوز بالطريقة دي"..

بعد أكثر من ساعة من المعارك الكلامية التي ترددت فيها كلمة (عانس) من الأم والأب لأكثر من عشر مرات في جلسة واحدة.. حسمت الأمر بكحلها السائل على خديها وهي تقول: "خلاص موافقة".

مر الليل طويلاً.. لم تكف عن البكاء.. ستتزوج هذا الغريب كي لا تصير عانسًا في مجتمع يقرر مصير الفتيات وِفق أهوائه السادية.

كانت دومًا تحلم بقصة حب تبث فيها الحياة.. كانت تنتظر الفارس المغوار القادم على حصانه الأبيض ليرفعها من خصرها ويسيرا سويًّا وسط الغابات الكثيفة..

أوَليس هذا ماقرأتْهُ في روايات الحب منذ صغرها؟ أكاذِبٌ كل ما قرأته وآمنت به؟

مرت أسابيع قليلة حتى تمت خطبتها رسميًا.. قررت أن تحاول التقرب منه لربما وجدت السعادة التي تبحث عنها في حياة أجبرت عليها.

كان دومًا ما يحدثها عن الاحتشام الذي يعجبه في صديقتها فلانة وفستان جارتها الأخرى الطويل في تلميحات سخيفة منه عن عري ملابسها.. كانت أفكاره بالنسبة لها أفكارًا منتهية الصلاحية..

حاولت مرارًا أن تخبره أنها لن تتغير، فهذه هي شخصيتها وهذا هو ما يناسبها ولن تبدله لأجل أي مخلوقٍ أيًّا كان.. كانت تكره تلعثمه في الكلام حين تحاوِرُه بقوة.. أي لعنة تلك التي أصابت الرجال؟ هل ظنوا أن الرجولة فقط هي نمو شعر أيديهم وذقنهم؟ كيف ترتعش أطرافه حين يطول حوارهما ويحتدم بينهما النقاش.

صارت مطارداته لها تحاصرها، إصراره على الغوص في أدق تفاصيل يومها يكاد يخنقها، مئات الأسئلة يلقيها عليها في كل مكالمة.

كثيرًا ما حدَّثته عن حبها للرقص بأنواعه، في محاولة يائسة منها لجعله يشاركها اهتماماتها.. حتى عبد الحليم حافظ حدَّثته عنه.. أخبرته مرة بكل جدية عن الجهد البدني والعصبي التي تبذله الراقصة، كيف ترسم الابتسامة على وجهها والألم يعتصر عضلاتها.. ضحكته الصفراء كانت توقفها عن تكملة الحديث.. لم يحدث مرة أن حدَّثها عما يهواه، حتى حديثه في أمور السياسة أو الرياضة كانت مجرد مماطلة وإضاعة لوقت يمر بينهما في صمت.

تكاد تجزم أنها ما زالت ترتدي هذا القيد المعدني الذي يلف إصبعها فقط لأجل دعوات أمها في كل صلاة وهي تبكي متضرعة إلى الله بصوت عالٍ - متعمدة إسماع ابنتها- "يارب كمل لها على خير وتملها الجوازة يارب"..

لم تملك من القسوة ما يعينها على قضاء حاجتها فوق جثة هامدة لأحلام أبويها.. لم تمتلك ما يكفي من الشجاعة لإخبارهما أنها تود إنهاء كل شيء.

شهورًا قضتها وهي تحاول التكيف مع الواقع المفروض عليها.. واقع يشوه كل ما فيها، يؤذي أعماقها.

تحدَّد موعد الزفاف.. أخبرها به أبوها متجاهلاً الحُمَم البركانية التي نثرها في قلبها. أجهشت في البكاء بعد تظاهرها بالقوة للحظات. سرت البرودة في أوردتها وكأنه الموت يقترب من أذنها هامسًا (أنا قادم إليكِ).

في الليلة السابقة للزفاف كانت تنتفض فوق سريرها كَمَن به مَسٌّ من جِنٍّ غاضبٍ.. الحزن يدبدب في قلبها كطفلٍ صغيرٍ تتملكه الرغبة في لعبة أعجبته..

ساعات مرت وهي تؤجل ارتداء هذا الكفن الأبيض (فستان الزفاف).. بين الساعة والساعة كانت تتقيأ متألمة، وكأنما معدتها ترافقها أحزانها فتصدر إنذارًا لوجود خللٍ ما في هذا الجسد..

باب الغرفة يقرع بشدة.. "خلّصتي ولا لسه، العريس وصل" تقولها أمها وهي فَرِحة بزفاف ابنتها الوحيدة التي ستخلع اليوم رداء العنوسة وتصبح زوجة لرجل يحترمه المجتمع ويبجله.

لم تسمع إجابة.. ربما تتزين العروس، أو ربما الخجل يوهن أحبالها الصوتية..

فتحت الأم الباب وصرخت "ابنتي".. كانت ملقاة على السرير فوق فستانها الأبيض.. لم يخلفها ظنها يومًا ما، كانت تدرك أنه سيصير كفنًا لأحلامها وعمرها.. ماتت العروس.. ماتت وهي تحمل لقب (عانس).

تمت

بائعة الزهور

إن المرأة إذا لم تحب من قلبها فلابد من إغرائها ببريق الذهب.

توفيق الحكيم

(اسمعي كلامي وتعالي معايا لأم محمد هي اللي هتريحك).. تقولها الخادمة بكل ثقة وهي تربِّت على كتف سيدتها.. وكأن أم محمد (قارئة الفنجان) تملك عصا سحرية لتضمد جراحها وتكشف لها ما تجهله.

عشرون عامًا مروا على زواجهما.. كانت صفقة العمر لكليهما.. صفقة تفوق الأفلام العربية القديمة في حبكة تفاصيلها..

الفتاة الفقيرة من النجوع لم تتجاوز العشرين من عمرها، والرجل الثري يقترب عمره من ضعف عدد سنواتها..

هي فقيرة ولكنه يشتهي جمالها، خفتها، دلالها.. يشتهي طفولة مشاعرها وعذرية قلبها..

هو كبير في السن ولكنه يمتلك من المال ما يغنيها عن شباب عاطلين حتى عن اكتساب قوت يومهم، ما الذي ستجنيه إن تزوجت من شاب صغير يفوق نجوم الشاشة وسامة؟ وحده المال سينتشلها من حياة سئمتها.

مباراةٌ نتيجتها تعادُل في الأهداف.. هي باعت نفسها كغانية في أزقة بيروت، وهو اشتراها في سوق النخاسة كتاجر عبيد في الأساطير القديمة.

لم تنكر يومًا أنه رجل ذو كاريزما طاغية، له هيبة من نوع خاص.. عرفته منذ عشرين عامًا حيث كانت تعمل بائعة في محل للزهور وكان هو يسكن في عمارة

فخمة مهيبة مجاورة لمحل عملها. كانت تراه كل يوم أو كان هو يراها كل يوم، فلم يستطع أبدًا إخفاء نظراته الشرهة لها.

شهر كامل وهو يتردد على المحل ويبتاع باقة ورد ثم يهديها لها.. كانت تنتظر موعده كانتظار المؤمن المتعبِّد لموعد الصلاة ليقيمها.. لم تكن أبدًا تشعر تجاهه بما يسمى الحب.. ولكنه الاهتمام، بل الانبهار.. كان الشيطان وحده يرسم لها خارطة الطريق.. كيف لها ألا تستغل هذه الفرصة التي ستحول مجرى حياتها.

مرت الأحداث سريعًا وانتهى المطاف بها في بيته، زوجة ومعشوقة و.. خادمة.

منذ الأشهر الأولى تبدلت معاملته لها.. صار جافًا.. واجهها ذات يوم أنه يعلم جيدًا لماذا وافقت به رغم فارق السن، كان يرى في ملامحها كل يوم شغفها بالمال والانتقال لحياة أخرى تلقي بها في أحضان النعيم.. نعم يعترف أنه أتمَّ الصفقة بمحض إرادته، بذكاء رجل يحترف اقتناء التُّحَف النفيسة من المزادات العالمية مهما بلغ ثمنها..

مرات عديدة راودها الشك أنه ما تزوجها إلا بفعل سحر سفلي سعت إليه أمها على يد المشايخ والدجالين لتأتي بعريس العمر لابنتها الصغيرة.. فكم من مرة أعلنت أمها ضاحكة أنها ستفعلها ولكن صرخات الابنة كانت تجعل الأم تنكر أنها ستفعل.. هل من الممكن أن يكون زواجنا تم بدفع من الساحر حقًّا؟ لم تجد أبدًا إجابة ترضيها، فأمها ماتت بعد زواجها بسنوات قليلة..

عشرون عامًا وما زال رباط الزواج يجمعهما، هي تأبى الانفصال لأنها لا تملك رفاهية الاختيار بعد أن اعتادت الثراء.. وهو يرى فيها واجهة مناسبة لاجتماعاته وحفلاته فما زالت الجميلة الفائقة الأنوثة.

منذ عام شعرت بتغيُّر يطرأ على حياته، اشتمت رائحة أنثى في قلبه.. تبًا لكسرة القلب، آهٍ من قهر امرأة وهبت نفسها لرجل.. لا يشعر بقهر امرأة إلا امرأة قُهِرت

من قبلها.. لهذا لم يشعر بها سوى خادمتها التي تعرضت للخيانة وانتهت حياتها الزوجية بعد فضيحة مدوية.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تلح فيها خادمتها عليها لتذهب معها إلى قارئة الفنجان لعلها تجد فيه آثار خُطَى امرأة أخرى داست على وهج عمرها فأطفأته.. امرأة سرقت ماضيها وشبابها.

انصاعت لنصائح الخادمة، توجها معا لمنزل (أم محمد).. منزل صغير في حي شعبي لا يختلف كثيراً عن المنزل القديم التي تربت فيه..

(أم محمد) شخصية مختلفة تمامًا عما تخيلته.. صورة قارئة الفنجان التي كوَّنتها من السينما كانت لسيدة في أواخر الأربعينات ترتدي جلبابًا وتجلس أرضًا من أجل حفنة جنيهات.. لكنها صدمت بما رأت، فتاة عشرينية فائقة الجمال، ترتدي ملابس مهندمة، تدس كلمات باللغة الإنجليزية بين العبارة والأخرى وكأنها متعمدة أن تظهر بصورة المتعلمة أو ربما المثقفة..

(أبويا سمَّاني أم محمد) قالتها الفتاة ضاحكة حين لمحت السؤال في عين الضيفة.. كانت على وشك أن تسألها فعلاً كيف ومتى لك بمحمد وأنتِ صغيرة..

امتد الحوار بينهما لتعرف أنها تدرس في جامعة معروفة ولكنها تهوى قراءة الفنجان وتجيدها فوجدت فيها طريقًا غير مألوف للكسب، هي تجلب لهم الأخبار التي ينتظرونها وهم يجلبون لها المال.. صفقة كصفقة أخرى عقدت منذ عشرين عامًا..

(أهي، واقفة في طريقك في النص بينك وبينه).. أكدت لها صحة شكوكها.. رأتها في فنجانها تقف بكل جرأة وسط ذرات البن الداكنة..

عادت إلى المنزل قدماها لا تقويان على حملها.. وكأنها كانت في انتظار قارئة الفنجان لتقرر مصيرها..

في هذا اليوم أخبرته أنها تود أن تخرج للمرة الأولى منذ زواجهما لتشهد هطول الأمطار خارج المنزل.. تعجَّب لأمرها.. أخبرها أنه ليس كالمجانين الذين يهوون السير تحت الأمطار، فهو يكره الأرض المبللة والثياب المتسخة فيما بعد.

إصراره على تجاهل رغباتها جعلها توقن أن امرأة أخرى تسلَّلت عنوة إلى قلبه.. هل تُواجِهُه؟ هل تَسبُّه بأمِّه وأبيه وتلعن يومًا باعت فيه نفسها لرجل لم يدرك قيمتها؟

حكت لرفيقة عمرها عما تمر به.. نصحتها أن تهدأ فهذه أزمة منتصف العمر، يمر بها كل الرجال..

وماذا عني؟ وماذا عن أزمتي؟ مَن هذه المجهولة التي حقنته بإكسير الشباب؟ كيف احتلته واقتحمت ميادينه؟

هل يعيد التاريخ نفسه؟ أتراه يشتريها من سوق الجواري؟

قررت أن تتجاهل نصح صديقتها وأن تواجهه..

يمر اليوم ثقيلاً في انتظار عودته.. منحت الخادمة راتبها وجعلتها تنصرف مبكرًا فهي ترغب أن تواجه هذه اللحظة وحدها..

صوت مفتاحه في الباب أوقف نبضها، جعلها تتسمر في مكانها. لا تدرك كيف تبدأ المواجهة.. أغمضت عينيها لدقائق معدودة، قرأت كل آيات التحصين التي تتذكرها.. بينما صوت خطواته يقترب صاعدًا السلم قادمًا من الدور السفلي للمنزل.. دخل الغرفة فابتسمت له قائلة "حمد الله على سلامتك نورت بيتك"..

في لحظة انكسار قررت أن تصمت.. ففي بعض الأحيان يكون التجاهل سمة العقلاء.

تمت

الغائب الحاضر

الموت لايوجع الموتى.. الموت يوجع الأحياء..

محمود درويش

لم تكن أبدًا مضادات الاكتئاب سبيلًا إلى نسيان حياتها معه.. رحل رفيق العمر، شريك الذكريات.. غيَّبَه الموت.. حفرة صغيرة مظلمة يكسوها التراب صارت مأواه.

حين تصبح سعادتك مجرد ذكريات لن تقوى على مرافقة السعداء من البشر فهُم على غير ملتك.. حين تصبح صفعة الموت أقوى من قدرتك على التعايش لن تدرك معنى للحياة بدون من رحل..

كانت تمتلك ذاكرة ضعيفة لا تقوى على تحمُّل الأحداث وتذكرها، إلا ذكرياتها معه.

تعترف لنفسها في كل ليلة منذ رحيله أنها لم تعرف النوم العميق إلا فوق كتفيه.

وضعت رأسها على الوسادة التي ما زالت تحمل رائحته رغم مرور السنين.. في هذه الليلة تجمعت الذكريات ولاحقتها.. كم تفتقده في يوم كهذا.. ففي الغد خطبة ابنتهما الكبرى، أول فرحة جمعتهما.

....

حاولت النوم وهي تحمل في قلبها ما يكفي من الحنق تجاه بنات أفكارها.. كان عقلها مكبلاً بقيود الذكرى.

.....

في الصباح كان المنزل كخلية نحل نشطة.. المهام توزعت على الجميع بالتساوي.. بناتها الثلاث يتمايلن مع نغمات الدي جي تكاد السعادة تقفز من وجوههن معلنة فرحتهن الجمة لخطبة شقيقتهن الكبرى..

كن يلمحن نظرات الأسى في عيون والدتهن ولكنَّ اتفاقًا ضمنيا كان بينهن ألا يُعيرن الموضوع انتباهًا كي لا يُزِدن حزنها ويكشفن الضمادة عن جرح كن يظنن أنه التأم ..

تقف متأملة بناتها والفخر يملؤها.. فالأربع بنات تخرجن من جامعات مرموقة وكل منهن شغلت منصبًا لا تكاد تحلم به غيرهن من بنات جيلهن.. علاقات أبيهن الراحل كانت قوية لدرجة أن جذورها امتدت حتى بعد وفاته فكان لهن النصيب الأكبر من التوصيات والحظ الأوفر بين بنات جيلهن.

رائحة السجائر تكتم أنفاسها، ابن شقيقتها يختبئ في الحمَّام مدخِّنًا سيجارته والدخان يفضحه..

لم تكن تحب السجائر قبل زواجها، ولكنها أدمنت مناصفته اهتماماته فتعلمت معه كيف تدخن وكيف تختار نوع سجائرها الفاخرة.. علمها أن السيجارة بدون فنجان البن الغامق ما هي إلا امرأة بدون ماكياج وهو يعشق الأنثى التي تتجمل لرجلها..

كان ابن أختها هو الوحيد القادر على رسم الابتسامة على وجهها مهما كانت الظروف، ربما للشبَه الغريب بينه وبين حبيبها الراحل، زوجها.. وربما لأن حسه الفكاهي يتخطى أسوار وقارها فيهرب بها من بوابة الزمن التعس.

"إنتي مش هترقصي يامُزة؟".. قالها ضاحكًا فانفجر الجميع ضاحكين حتى هي.. استطاع انتزاعها مما هي فيه.. "عيب يا ولد" وانتزعت يدها من يده ضاحكة..

"عقبال خطوبتك ياخاااالتي" ما إن قالها حتى عادت إلى الوجوم من جديد..

انشغل هو وسط بنات خالته بالرقص وسرحت هي بخيالات بعيدة.. الأرملة التي عانت الوحدة وهي في الخامسة والعشرين من عمرها.. بعد رحيله بعام واحد تكاثر الخطاب على بابها فأوصدته في وجه الجميع محتضنة بناتها، صنعت حولها هالة محرَّمة لا يقترب منها أحد .

تسمع صوت ابنتها الصغرى يعلو بالغناء.. كم هو جميل صوتها، عذب كأبيها.. كان يعشق الغناء ويستمتع به في لحظات خلوتهما.. غصة في قلبها لا تتوقف وهي تستعيد نبرات صوته في أذنيها.

صوت الزغاريد يملأ السلم، لقد وصل المهنئون وهي لم تنتهِ من ارتداء ملابسها بعد.. تسرع إلى غرفتها ترتدي فستانًا أخضر اللون يتناسب تمامًا مع لون عينيها. تقف أمام صورته لا أمام المرآة، تحدثه هامسة: "رجل مثلك لا يسقط أبدًا من ذاكرة امرأة عشقته".. تقبِّل صورته وتنتقل بوجهها إلى المرآة لتضفي لمساتها الأخيرة وتخرج إلى غرفة العروس.

"قمر يا قلب أمك".. فرحتها الغامرة بهذه اللحظة تغلبت على أشجانها.. وحده الفرح قادر على ترميم بقايا القلب المنهك..

(العريس وصل).. تعلو الزغاريد.. تطبع ابنتها العروس على خدها قبلة قوية، تترك أثر شفاهها المصبوغة باللون الأحمر على وجه الأم.. قبلة قالت الكثير والكثير، حملت كل معاني الامتنان والعرفان بالجميل.

رمقت صوره المعلقة على الجدران في كل مكانٍ في المنزل وهي مبتسمة، لا تريد أن تمحو آثار هذا اللون من فوق وجنيتها وكأنما تريده أن يراها.. تريده أن يعلم ذاك الغائب الحاضر أنها نجحت نجاحًا يليق به.

تمت

فتاة الشاطئ

حياتنا سلسلة متشابكة من الصدف الصغيرة التي قد يغير وقوع إحداها قبل الأخرى بثوانٍ أو بعدها بثوانٍ مجرى حياتنا

يوسف إدريس

جلست على الشاطئ ونظارتها الشمسية تخفي جزءًا كبيرًا من ملامحها.. سماعات صغيرة تصم بها أذنيها فلا تسمع إلا ما اختارت هي أن تسمعه من ألحانٍ دون كلمات..

عاشقة هي للهدوء، وللبحر..

كلما حانت لها الفرصة بالسفر سرعان ما تسارع باختيار إحدى المدن الساحلية لتجلس أمام البحر فتسكن روحها وتهدأ.

ذكرياتها معه تعود إلى طفولتها وقتما كان أبوها في بداية كل إجازة دراسية يُعلِن لها هي وشقيقها عن وجهتهما الجديدة لقضاء إجازة الصيف بعيدًا عن ازدحام وحر القاهرة. كان دومًا يختار فندقًا يطل مباشرة على البحر فيمكث كل الإجازة في الشرفة أمامه غير مكترث بالنزول من الفندق.

لم تملك أمها يومًا حرية القرار في أن تغادر الفندق مع أبنائها.. فهي زوجة لرجل متسلط لا يرضى لحكمه بديلاً. لم يدرك الأب التحرر إلا مؤخَّرًا فاعتبره حقًّا ممنوحًا لأبنائه ممنوعًا على زوجته. أو ربما وجد في تحررهم فرصة ذهبية لابنته لاصطياد عريس مرفه ينعم بقضاء إجازاته على شاطئ البحر مثل الأثرياء.

أمها حرمت منذ زمن من رؤية البحر عن قُربٍ بسبب زواجها من رجل يجهل الطريق لإسعاد زوجته البائسة.. والآن هي أكثر بؤسًا، فقد حرمت من رؤيته من جديد بسبب مرضها..

أمراض الشيخوخة تداهمها قبل الأوان، بالتأكيد بفضل ما قضته من سنين مع زوجٍ عابس الوجه، حانق الطباع.

لم تسمع أمها يومًا تشكو، لم تسمعها يومًا تحادث جدتها اللهم إلا مرة واحدة كانت تقول لها "أنا تعبت، حسة إني مش هاقدر أكمل معاه، كل يوم باقضيه جنبه بياخد من عمري".. لن تنسى كلمات أمها لجدتها، حفظت عن ظهر قلب أن سعادة المرأة بيد رجل يمتلكها فهو وحده القادر على تفجير أجمل أو أسوأ ما فيها.

المصيف هذا العام مختلفٌ. وافق الأب أخيرًا بعد سنوات على السفر برفقة أعضاء النادي.. سنوات مضت وهم في محاولات عابثة لإقناعه بهذه الفكرة ليجدوا في أصدقائهم ونسًا في رحلتهم..

لم تستطع أمها المجيء معهم في هذا العام فقد اشتد عليها المرض وأقعدها فلازمت خالتها معها المنزل وأصرت ألا يتخلف الأبناء عن الرحلة لعلَّهم يجدون فيها متنفَّسًا بعد عام دراسي طويل وتمريض أمهم المسكينة وفض نزاعات أبيهم معها ومع الجيران وزملاء العمل.

حول حلقة نار كبيرة في ليلٍ حالكٍ التفَّ كُلُّ رفقاء الرحلة.. "تعالوا نلعب لعبة الصراحة" قالتها فتاة شقراء لا تعرفها، ربما تراها لأول مرة بين أعضاء النادي..

بدأت اللعبة، كل فرد يختار فردًا آخر ويسأله سؤالاً، وعلى الطرف الثاني الإجابة بكل صراحة.. تزداد جرأة الأسئلة وتزداد معها ضحكات الحاضرين..

حان دورها، عليها أن تتلقى السؤال وتجاوب فورًا دون تردُّد أو تفكير.. إنها المرة الأولى التي تفعلها، فهي شخصية متأنية لأقصى مدى، تدرس خطواتها بدقة قبل أن تقدم عليها.

الفتاة الشقراء المجهولة تسألها بصوت هادئ بالكاد تسمعه (حبيتي كام مرة في حياتك؟؟).. تنظر إليها وأطرافها ترتعد من برودة الجو وسخونة السؤال..

"ولا مرة" قالتها وسكتت طويلاً.. ربما كان صمتها هو مواجهة لنفسها بما تشعر به من وحدة.

لم تدخل مرة في علاقة عاطفية، كانت بمجرد أن تلمح اقتراب شرارة الحب منها تفر هاربة خوفًا من أن تتكرر مأساة أمها.

في أيامٍ قليلة كانت علاقتها قد توطدت بالفتاة الشقراء.. صارت تعرف عن حياتها أكثر مما تعرف عن صديقاتها في القاهرة.

انتهت الإجازة وعاد الجميع كل إلى حياته . نفس الأيام الرتيبة.. رائحة أدوية أمها في كل مكان في المنزل.. صوت أبيها يعلو بسباب كل من حوله.

في مكالمة لها مع صديقتها الجديدة اتفقتا على اللقاء..

حين رأتها ارتمت في أحضانها وكأنها تهرب من شيءٍ ما.. بثتها أحزانها، أخبرتها أن حياتها في هذا المنزل صارت شِبه مستحيلة..

(إيه رأيك تشتغلي معايا؟).. كان السؤال مفاجأة غير متوقعة بالنسبة لها.. لم تقوَ على الإجابة.. فكَّرَت مليًّا قبل أن تجيب بصوت منخفض: (وهاشتغل إيه معاكي، إنتي مصممة أزياء؟)..

(وماله؟ هتبقى الموديل بتاعتي).. للمرة الأولى ضحكت وكأنها سمعت إحدى النكات التي اعتادت أن تضحكها وهي تخبئ وجهها علَّها تستطيع أن تكتم صوت ضحكاتها العالية.. ضحكت رفيقتها حتى لمع الدمع في أعينهما لشدة الضحك.

- خلَّصنا ضحك؟ أنا باتكلم بجد على فكرة..

- جَد إزاي؟ أنا بالبس بلوزتي بالعافية وساعات بأنسى أقفل الزُّرار كمان..

- هاعلمك كل حاجة متقلقيش..

- تفتكري هانجح..

- هتكسَّري الدنيا...

ثقة الشقراء فيها كانت قوية.. كانت تنظر إليها بعين الخبير الذي يدرك أين يضع استثماراته.. تجاهلت إخبار والدها فكم كانت تكرهه، هو في غيبوبة منذ زمنٍ، لا يدرك في الأساس في أيِّ صفٍّ دِراسيٍّ هي، فلن يفتقد غيابها عن المنزل في أيَّامِ تدريبها للعمل الجديد.. انشغاله بمشاكله ومعاركه بل ونزواته أيضًا جعلوا منه سرابًا في حياة ابنته وابنه الأصغر.

انغمست في تعلُّم كل ما يخص الوظيفة الجديدة بسرعة تلفت الانتباه .. برعت في كل شيء طُلِبَ منها.. كانت في تحدٍّ مع نفسها، تريد أن تثبت أنها قادرة على النجاح خارج حدود منزلها، بدون رجلٍ، أيّ رجل حتى لو كان أباها.

بعد خمس أشهر اجتازت كل الاختبارات بنجاح منقطع النظير.. اللغات، الإتيكيت، والخطوات.. أشاد جميع معلميها بموهبتها وقدرتها على التحمل والتعلم..

صديقتها فخورة بها، تنظر إليها بعين الزهو أينما ذهبت..

يشتد المرض بأمها.. يفتك بما تبقى من جسدها.. رغبتها في الحياة منعدمة فيجدها المرض اللعين فرصة سانحة للقضاء على ما تبقى منها..

رحلت الأم في هدوءٍ تمامًا مثلما عاشت.. بأنفاسٍ مكتومة وعينين دامعتين احتضنت الابنة أمها الممدة على سريرها وبكت.. رحلت الأم الحنون وتركتهم مع رجل مغيَّب لا يعلم عن أبنائه شيئًا.. اللهم إلا أسماءهم.

انغمست الفتاة في عملها في محاولة منها لتناسي ما تمر به.

"الاسبوع الجاي هتنزلي أول عرض".. تجمدت أطرافها حين أخبرتها صديقتها بالموعد المرتقَب..

نظرت إليها ممتنة وقالت: "أنا جاهزة، ومش عارفة أشكرك إزاي، أنا لو ليَّا أخت بنت مش هتعمل معايا اللي عملتيه" ..

"أنا ماعملتش حاجة، إنتي ساعدتيني زي ما أنا ساعدتك، إنتي موهوبة وشاطرة بجد وانا كنت محتاجة واحدة زيك، والأهم إني كنت محتاجة صديقة والأيام أثبتتلي إني أحسنت الاختيار"..

ساد الصمت قليلاً.. لعنت أباها في سرها، كيف لم تشعر معه بهذا الأمان يومًا، كيف لا تتملكها الرغبة في أن تخبره بنجاحها؟ كم هو بعيد عنها هذا الرجل!

****

تضع اللمسات الأخيرة لمكياجها.. فستانها الأحمر يزيدها فتنة.. خصلات شعرها البني الداكنة تنسدل فوق كتفيها.. كل شيء يسير وِفق ما تعلمت على أيدي كبار الأساتذة في هذا المجال.. إلا رعشة يديها.. لم تستطع إيقافها أو التحكم فيها..

نبضها السريع العالي زاد من حُمرة وجنتيها فبدت كأنها لوحة جميلة صنعها فنان موهوب..

تسرع الخطى إلى المسرح.. خلف الستار تقف صديقتها.. ويقف شقيقها الأصغر.. الوحيد في هذه العائلة الشاهد على نجاحها.. الرجل الأوحد في قلبها.. يقبِّل جبينها ويديها "ربنا معاكي"..

تقترب صديقتها تشد على يديها وتغمز لها "أنا واثقة فيكي، هتعمليها"..

تصعد المسرح راسمة ابتسامة تخفي وراءها الكثير. ترامت كلمات الإعجاب إلى مسامعها فزادت ثقتها بنفسها.. تتهادى بخطوات مدروسة فوق السجادة الحمراء فتتعالى صيحات الجمهور إعجابًا، تسمع دويَّ تصفيقهم فيزداد نبضُ قلبها، تنظر إلى صديقتها نظرة عرفان بالجميل وتقذف لها قبلةً في الهواء.. قبلة ذات طابع خاص ومعنى أخص. (شكرًا).

تمت

المدونة

إن الهاماً في داخلنا يدفعنا أحياناً إلى الطريق الصحيح الذي يجب أن نسلكه

يوسف السباعي

على وجهها المبتلّ بالعرق ارتسمت ابتسامة باهتة تخفي خلفها الكثير. تسابق مدربها الخاص في الساحة الخاصة بالمهرولين أمثالها.. كانت الرياضة عالمًا خاصًا اقتحمته لتجعل منه ساحةَ قصاصٍ من نفسها في كلِّ يَومٍ.. منذ اليوم الذي أقلعت فيه عن إرسال مشاكلها لعبد الوهاب مطاوع وقد وجدَت في ممارسة الرياضة بديلاً لرسائلها المخطوطة، تفرغ فيها شحنة غضبها بعد انتهاء قصة حبٍّ كادت أن تودي بها.

فكانت البداية.

**

للتو انتهى من ترتيب أغراضه.. عائدًا إلى الوطن.. لملمَ ما تبقَّى في خزائن الغرفة في فندق شديد الرفاهية مكث فيه ما يزيد عن تسعة أشهر بغرضِ إتمام صفقة مهِمَّةٍ. تمتد يده لالتقاط ولاعته الفاخرة وسلسلة مفاتيحه التي تحمل الحروف الأولى من اسمها.

هل سيجد فتاته بانتظاره؟ أتراها ترقب موعد وصوله؟ أم إن خطاباتها لعبد الوهاب مطاوع منحتها القوة اللازمة لنسيانه؟

**

نصحها مدربها أن تُنشِئ مُدوَّنةً خاصةً بها على الفيس بوك.. فهي موهوبةٌ بالفطرة.. كتاباتها مختلفة، واثق أنها في احتياج لهذا النجاح. كان يدرك أن الرياضة

في حياتها مجرد متنفس يخرجها مما هي فيه من حالة نفسية صعبة.. أما الكتابة فهي مصدر قوتها وتشبثها بالحياة.

كان لها دومًا العون والسند.. والصديق.

**

في المطار كان يلتهم بعينيه ملامح الواقفين خلف السور الحديدي الذي امتلأ بالصدأ في مطار القاهرة. لم يجدها. كان على يقين أنها قادمة بعد أن أرسل إليها رسالة نَصية من سطر واحد "أنا قادم على رحلة رقم 446 القادمة من إيطاليا. مصر للطيران. انتظريني".

**

في المنزل انكبت على العمل، دؤوبة كعادتها. كلها إصرار على قبول التحدي، تحدي الزمن.. في ساعات قليلة كانت مدونتها جاهزة ودعايتها تملأ كل المجموعات التي اشتركت فيها لأعوامٍ.

**

في مكتبه الخاص يكاد وجهه يختفي وسط هذا الكوم الشاهق من الملفات الممددة على مكتبه في انتظار مراجعته وإمضائه. يأخذ قسطًا من الراحة متذكِّرًا أن لبدنه عليه حق. يمد يديه ليفتح جهاز حاسوبه الخاص. لا إراديًّا يبحث عن صفحتها بمجرد أن يفتحه، عادة قديمة لم تتغير يومًا.

إعلان صغير في صفحتها عن مدوَّنة تحمل اسمها، ورابط يذهب بالقارئ مباشرة إليها.

**

خواطرها الأدبية تجتذب الباحثين عن أدب مختلف.. عن أسلوب جديد.. لطالما أخبرتها صديقاتها أن كلماتها سهم صائب في قلوبهن ولكنها أبدًا لم تمتلك من الثقة في نفسها ما يجعلها تقدم على خطوة كهذه إلا بدفع من المدرب الخاص.

**

يحتضن شاشة الحاسوب بعينيه، يقرأ كلماتها وكأنه يسمع كل عبارة منها بصوتها المألوف. لم تتغير، عبارات الهجاء تملأ كتاباتها وكأنها تحمله وحده مسئولية ما حدث . هكذا كانت هي دومًا كما كان يصفها (ندَّابة).

**

يزداد عدد متابعي المدونة، يلمع اسمها بشدة في صفحات التواصل الاجتماعي. تزداد إلهامًا فتخط لمتابعيها يوميًا ما يشبع نهمهم للمزيد من كتاباتها.

**

يحاول مرارًا أن يراسلها دون إجابة منها، حتى رقم هاتفها غيَّرته هربًا منه. كانت كتاباتها سهمًا موجَّها إلى قلبه، تخبره في كل سطر كم هي حانقة عليه.

**

بعد أشهر قليلة من النجاح قررت طباعة مدونتها لتخرج إلى النور. فلرائحة الحبر سحر خاص لا يدركه إلا من تستهويهم القراءة مثلها.

**

في حفل صغير في النادي وقفت بين صديقاتها تتحدث عن المدوَّنة، والكتابة وعن نجاحها في تحقيق حلمها دون تخطيط مسبق.

**

في زاوية بعيدة وقف يرقبها، كعادتها مرفوعة الرأس واثقة في نفسها وكأن ما من تجربة كسرت فيها شيئًا. صوتها يحمل من الشجن ما يخبره كم كان نذلاً معها ولكنها بكل تعالٍ تسير بخطى ثابتة رافضة النظر إلى الخلف.. في تجربة كادت أن تهدمها.

**

في نهاية الحفل نظرت إلى الموجودين وأخبرتهم "أنتم المقربون إلى قلبي، لم أرغب اليوم أن أحتفل إلا معكم".

**

أدرك أنه من غير المقربين، فلم تصله دعوة للحفل ولم يجد حتى ردًّا على رسالة من رسائله اليومية لها.

استدار دون أن تراه، قرر الرحيل.

**

"الفضل كل الفضل لك، أحبك".. قالتها موجِّهة الحديث لمدربها الخاص. أمسكت يديه وضغطت عليهما برفق بكلتا يديها وابتسمت ابتسامة واسعة تعني الكثير.

تمت

الدراجة الزهرية

الشخص الواثق بنفسه له ضحكة تختلف عن الآخرين.

إبراهيم الفقي

تضع قارورة المياه المثلجة في مكانها المخصص داخل حقيبة الظهر.. تراجع ورقة احتلت موقعًا فريدًا فوق مكتبها خطت فيها كل لوازم الرحلة..

سماعات هاتفها النقال، قائمة أغانيها المفضلة، مرآتها الصغيرة المضيئة وعطرها الأقرب إلى قلبها..

تطبع قبلة خاطفة على خد أمها ومثيلتها على جبين الأب وتهبط درج المنزل مسرعة..

(أظن جيت في ميعادي تمام زي كل مرة).. تؤكد بكلماتها ما كان الرفاق يتداولونه عنها منذ لحظات فتعلو الضحكات..

جَمعٌ غفير من قائدي الدراجات كُلٌّ يقف ممسكًا بمقود دراجته.. صف طويل يتجاوز المئة دراجة.. لو كانت للدراجات لغةً لَحَكَتْ الكثيرَ عن أصحابها فكل واحدة تخبئ العديد من أسرار صاحبها..

دراجتها الزهرية اللون ذات الاضاءات الصغيرة والجرس الملون العالي الصوت تدل على شخصيتها المنطلقة الحرة..

يعلو صوت قائد المجموعة مُرحِّبًا بهم.. (دلوقتي هنتحرك كل واحد يستعد، الجولة الأولى هننهيها بعد عشرة كيلو).. استرسل في حديثه بينما هي تضع سماعاتها في أذنيها تستمع إلى أغنيات تهواها، فهي تعلم مسبقًا ما سيقول فطالما رافقته في رحلاتِه منذ سنوات.

كانت قيادة الدراجات هي هوايتها المفضلة، تهرب فيها إلى عالمٍ لا تلتهمها فيه الأعين الجائعة أينما ذهبت..

صفارة القائد تعلن بدء الرحلة. يعتلي كُلٌّ دراجته. نسمات الهواء العليل تلفح وجهها، يجتاحها شعور بالحيوية فتزيد من سرعة قيادتها. يتطاير شعرها ليغطي وجهها فلم تعبأ بأن تعقصه الى الخلف مثل كل مرة، تضحك فرحة وكأن في تطايره لذةً لم تعرف مذاقها منذ كانت طفلة صغيرة تجري وسط رفقائها ويغطي شعرها نفس الوجه فيضحكون داعين الله أن يكسو الشعر عينيها فتقع الصغيرة الماهرة ولا تكمل لعبها معهم؛ فقد كان الفوز حليفها في كل لعبة معهم.

تنظر في المرآة الجانبية لدراجتها فتلمح الجميع في الخلف، وحدها كالعادة في المقدمة. تمد يدها إلى هاتفها المعلَّق في مقدمة الدراجة فتنتزع السماعة الصغيرة عنه ليعلو صوت الأغنيات على أشده، تغني معها وتلوح لباقي الرفاق بذات اليد فيضحك الجميع رادين لها التحية.

يمر الوقت سريعًا، تسمع صفارة القائد للمرة الثانية.. ها قد وصل الجميع للمحطة الأولى من الرحلة. تقف سريعًا وتستدير للخلف عائدةً لهم بعد أن تجاوزتهم.

تقترب منهم وصوت أغنية يكاد يتجاوز هاتفها إلى أسماعهم فيعلو صوت أحدهم مردداً نفس الأغنية ليعلو صوت الجميع بالغناء والضحك.

ينظر إليها القائد فخورًا بها فمنذ سنوات وهي رمز البهجة والتحرر في رحلاته.

تمت

صور

حين يغمرك الحزن تأمَّل قلبك من جديد فسترى أنك في الحقيقة تبكي مما كان يومًا مصدر بهجتك.

جبران خليل جبران

تلتقط اللقيمات من صحنها المزخرف المكتظ بشتّى صنوف الأطعمة الدسمة وكأنها تبتلع أحزانها معها.

بين الحين والآخر تنظر إلى كفيها المخضبين بالحناء فتتساقط أدمعها.. وضعت أمامها على الطاولة راديو صغيراً أسود اللون ينطلق منه صوت مقدم النشرة الإخبارية في انتظار برنامجها المفضَّل (على الناصية).. وحدَه هذا الجهاز الصغير صار يؤنس وحدتها..

ابنتها الصغرى تزوجت منذ أيامٍ، ما زالت حمرة الحناء في يدها. ما زال صوت الزغاريد يملأ أذنيها بل تشعر كأنه يملأ المنزل فترقص معه الجدران فرحةً لزواج الابنة المدلَّلة. كانت هي الأقرب إلى قلب أمها.

منذ عامٍ واحدٍ كان هذا المنزل يملأه الضجيج. أم وأب وثلاثة أبناء (فتاتان وصبي). في عام واحد تغيَّر الحال، مرض الزوج ولزم الفراش، وتزوجت الفتاتان وانتقلتا للحياة إلى جوار زوجيهما كُلٌّ منهما في مدينة تبعد عن أمهما مئات الكيلوات، أما الشاب فقد سافر منذ عدة أشهر إلى دولة أوروبية ليكمل دراسته.

تنتهي من التهام وجبتها فتزيح ما أمامها لتوسع مكانًا فوق الطاولة لصندوق خشبي متوسط الحجم ممتلئ بصور صغارها.

صورتها مع أبنائها وزوجها، عند بئر مسعود في سيدي بشر بالإسكندرية،

مزارهم الأول كلما سافروا إلى هناك، كم من جنيهات ألقوها داخل البئر آملين في جلب الحظ لهم..

صورة أخرى لعرسها، كم يشبه فستانها الأبيض ذو الذيل الطويل ذاك التي ارتدته ابنتها الصغرى منذ أيامٍ في حفل زفافها..

تنظر إلى أكوام الصور التي تحتل الطاولة نظرةً مؤنِّبةً يملؤها العتب فتلملم ما تناثر منها هنا وهناك وتغلق الصندوق بينما ينبعث من الراديو صوت ذكوري جهوري يردِّد: "آمال فهمي تقدم لكم..".. لتأتي السَّكِينة بين نبرات صاحبة الاسم حين تلفظ اسمها بصوتٍ حنونٍ تألفه الآذان "آمال فهمي".

صحن جديد ممتلئ فوق نفس الطاولة ينتهي مع نهاية حلقة البرنامج الإذاعي، وفي الخلفية آهات عالية للزوج المريض.

تمت

إلى تلميذة

مازلت في فن المحبة طفلة بيني وبينك أبحُر وجبال. لم تستطيعي بعد أن تتفهمي أن الرجال جميعهم أطفال..
إني لأرفض أن أكون مهرجًا، قزمًا، على كلماته يحتال.. فإذا وقفت أمام حُسنك صامتًا فالصمت في حرم الجمال جمال.

نزار قباني

كان زِيها المدرسي ذو الزرقة الداكنة يزيدها جمالًا. أمتار قليلة تفصل بين منزل أسرتها والمدرسة، تقطع هذه الأمتار فيما يقرب من النصف ساعة حيث تنتظر هي وصديقاتها كُلٌّ منهن الأخرى ليجتمعن في النهاية سويًا ويركضن في خُطى متسارعة إلى المدرسة قبل بدء اليوم الدراسي لعلهن يجدن فرصة للنجاة من صيحات المديرة المنفعلة طوال اليوم.

كانت تحفظ عن ظهر قلب موعد درس اللغة العربية في المدرسة، مادتها المفضلة؛ فلا تسمح لفتاة في الفصل أن تنبس ببنت شفة.

تستمع إلى الدرس وكأنها في لحظات تعبُّد كاهن آوَى إلى محرابه. كانت تنتظر بشغفٍ أن يطلب منهن المعلم أن يكتبن أحد مواضيع التعبير، فها هي الفرصة مواتية لتختزل قراءاتها اليومية في صفحاتٍ فريدة في طريقتها.. كانت تهوى الرقص فوق الأسطر والتنقل بين المفردات في خفة لم تعهدها في نفسها، اللهم إلا في دراستها للغة العربية.

في فسحة اليوم الدراسي كانت تنزوي جانبًا تقرأ بصوتٍ مسموعٍ ما طالته يداها اليوم سريعًا من مكتبة أبيها.. شيئًا فشيئًا صارت قراءاتها محل اهتمامٍ من صديقاتها.. صار ركنها حلقة علم تتسع يومًا بعد يومٍ لمن وفدن لسماعها وهي تلقي عليهن كلمات جبران خليل جبران وروايات نجيب محفوظ ولربما طه حسين أيضًا.

منذ أن كانت طفلة وهي ترعرت فوق أرفف كتب والدها فسيطرت عليها هذه الروح وسكنتها حتى أعماقها.

صار وقت القراءة لرفيقاتها في المدرسة هو ملاذها.. استهوتها الموهبة الجديدة التي تفجرت داخلها، اكتشفت قدرتها على الإلقاء، على التلاعب بصوتها لإيصال معنى ما تقرأ للمتلقي..

كانت تقرأ في المساء وتمسك بورقاتها البيضاء وكأنها تسمع صوت شكواها من الفراغ فتخط فوقها مُلخَّص ما قرأته لتتلوه في اليوم التالي على مسامع صديقاتها.

ازدادت الدائرة واتسعت فصار الجالسون من مُعلِّمي المدرسة يملأون صفوفها الأولى.. التصفيق الحاد في نهاية كل فسحة كان يزيد من إحساسها بالفخر.

الكل يطلب منها ما يريد سماعه من قصائد أو كتب. فتأتي في اليوم التالي حاملةً إياها لتتلوها بصوتِها العذب وإلقائها المتفرد.

(إلى تلميذة.. من قصائد نزار قباني.. قصص الهوى قد أفسدتك، فكلها غيبوبة وخرافة وخيال، الحب ليس رواية شرقية بختامها يتزوج الأبطال..)

صيحات الإعجاب تعلو من معلميها وهمهمات التشجيع ترتفع بين صديقاتها.

تمر الأعوام.. أمام الكاميرات تجلس مقدمة البرنامج الشابة في كامل أناقتها، (لكنه الإبحار دون سفينة وشعورنا أن الوصول محالٌ، هو أن تظل على الأصابع رعشة وعلى الشفاه المُطبقات سؤال) كنت معكم وقصيدة (إلى تلميذة) للرائع نزار قباني.. (ستووووووب) يعلو صوت المخرج ثم يوجِّه حديثه لها قائلاً: "أكاد أقسم إن خلف هذه القصيدة تحديدًا سرًّا خفيًّا في حياتك".. تضحك وتستحضر خاتمة قصيدة نزار (حسبي وحسبك أن تظلي دائمًا سرًا يمزقني وليس يقال).

تمت

المرآة

الرسم طريقة أخرى لكتابة المذكرات

بابلو (رسام ونحات إسباني)

الخيط الشرس يهاجم شعرات وجهها الشقراء فينتزعها بقوة. فتاة الصالون النسائي التي اعتادت أن ترتاده منذ سنواتٍ طويلةٍ تقف ممسكةً بالمنشفة المزخرفة في محاولة منها لتجفيف رأسها بعد صبغته.. محاولة فاشلة أخرى لإخفاء الخصلات الرمادية المتوغلة، حتى شعرها تمرَّد عليها فلم يعد يستجيب لشتى تجارب الصبغ وأصرَّ على الاحتفاظ بهويته.

تنفعل وتهم بالمغادرة فتنظر إليها ابنتها الشابة نظرة عتب سرعان ما فهمتها فعادت إلى مكانها لتكمل الفتاة عملها.

منذ نعومة أظفارها وهي تهوى هذه اللحظات التي تسلم فيها رأسها وأطرافها لعاملي الصالونات النسائية سعيًا منها لنهاية ترضي كل أنثى حين تقف أمام مرآتها.

الآن صارت هذه اللحظات لزامًا عليها، لم تعد كالسابق، مجرد أوقات عابرة تقضيها فتاة صغيرة تتجمل.

الآن هي على مشارف السبعين من عمرها، لم تترك التجاعيد في وجهها مكانًا لإضافة جديدة من إضافات الزمن.. تنظر إلى نفسها في المرآه فتلمح في الخلفية ابنتها فتضحك ضحكة خافتة.

تلمع عينيها ممسكة بدَمعة تكاد تفر منهما.. كيف للسنوات أن تفعل بها هذا؟ كيف مر العمر وكأنه لوحةٌ فنية مثل لوحاتها التي تملأ معارض العاصمة. تشعر وكأن المكان خاوٍ، لا أحد فيه سواها، تتكالب عليها الذكريات فتشعر بألمٍ

شديدٍ في رأسها مما يجعلها تطلب من الفتاة أن تأخذ قسطًا من الراحة ثم تستكمل ما بدأت خاصة وأن ابنتها ما زال أمامها الكثير مما لم تنهِه في الصالون؛ إذًا فمازال هناك متسعٌ من الوقت.

تنتقل إلى ركن هادئ بعيد عن صخب النساء وثرثرتهن.. تستند برأسها إلى الحائط.. تعود بالذاكرة إلى الخلف.. ما يقرب من أربعين عامًا مضت على عودتها من إحدى دول الخليج بصحبة زوجها.. قرارٌ أهوج أخذه الزوج في لحظة غضبٍ عارمٍ بعد معارك متكررة بينه وبين مديره في العمل.

عاد الزوج إلى مصر للمرة الأولى منذ زواجهما.. بعد أن قضيا سويًّا في الخليج ما يزيد على خمس سنوات كاملة..

ربما كان القرار سهلًا عليه لعدم ارتباطه بمسئوليات تجبره على المكوث في الخارج.. فهو ككل ذَكَر يحلم بوريث لثروته وحتى الآن لم تثمر محاولاتهما للحمل عن أي نتائج مرضية.

عادا إلى مصر ليبدأ الزوج عملاً جديدًا وجدَه بسهولة؛ فهو الشاب الذكي خريج الجامعات الأجنبية والحاصل على العديد من الشهادات في مختلف المجالات.

مرت الأيام في مصر في بداياتها ثقيلة عليها.. الغربة جعلت منها كائنًا مصابًا بالتوحد.. لا تفتقد صديقاتها ولا تجد في نفسها الرغبة في الاتصال بإحداهن.. حتى أقرباؤها انقطعت علاقاتها بهم منذ أخذت قرارَ مغادرة البلاد. أمها توفت وهي في الخارج ولم تجد الابنة في وفاة الأم حافزًا للعودة إلى مصر فسرادقات العزاء في نظرها لا تزيد عن كونها مكانًا مهيَّأ لاستعراض أفخر الحلي والفراءات الباهظة الثمن، وملتقى لأفراد عائلة قرَّروا منذ زمنٍ قرارًا ضمنيًّا خَفيًّا ألا يلتقوا إلا في مثل هذه المناسبات.. أما والدها فلم ترَه؛ فأمها أرملة منذ بداية حملها فيها.

تمر الأشهر والملل يقتلها.. فالزوج يعمل طوال اليوم، بالكاد تراه وقت النوم.

في صباح يومٍ مشمسٍ كانت تنفض الغبار عن أرفف قديمة لم تتذكرها منذ سنوات، يعلو صفير صدرها في محاولاتٍ منها لمعاودة التنفس فتهرع إلى غرفتها باحثةً عن البخاخة السحرية التي اعتادت أن ترافقها في مثل هذه الأوقات حين يقف التراب مُشهِرًا أسلحته في وجه رئتيها.

شهرٌ آخر يمر وتزداد تقلباتها المزاجية.. حالة من الصراع النفسي تسيطر عليها.. رغبة عارمة تنتابها أن تبدأ محاولة جديدة في رحلة العلاج لحدوث حملٍ لربما يلهيها عمَّا هي فيه.

تتذكر الأرفف التي تركَتْها منذ شهرٍ دون أن تنفض عنها باقي غبار السنوات. تجتر خطواتها الثقيلة ذاهبة إليها. طبقات جديدة من التراب اعتلت الأرفف. تحاول أن تتخلص منه ببطءٍ شديدٍ في محاولة منها لعدم تطايره.

ابتسامة واسعة ترتسم فوق شفتيها.. (الله) تصرخ بها ضاحكة بصوت عالٍ فتسرع بوضع كفيها فوق فمها في محاولة منها لكتم الضحكة الصاخبة.. تمد أصابعها داخل رفٍّ منهم لتعود بفرشاة رسم خشبية صغيرة الحجم.

أعوام طويلة مرت منذ آخر مرة أمسكت بهذه الفرشاة، تنظر إليها محتضنةً إياها بمقلتيها.

تجلس على أريكة صغيرة في مكان مقارب للرفوف المهملة.. لا تتذكر كم من الأعوام مرت منذ وضعت هذه الفرشاة في الرف، كل ما تتذكره هو ذكرياتها معها.

تغمض عينيها فتراه أمامها؛ شاب ثلاثيني مفتول العضلات، يقف أمام لوحاته في المعرض يستقبل المهنئين والنقّاد والثقة ظاهرة على ملامحه وكلماته، تنظر إليها صديقتها نظرة لا يفهمها أحد سواهما، فالشاب الوسيم يلقى إعجابهما أكثر من لوحاته ذاتها.. على باب المعرض تقف فتاة تبدو في العشرينيات من عمرها ممسكة بصينية فضية متوسطة الحجم تجول بين الحاضرين توزع فرش رسم

خشبية بنية اللون تعلوها الحروف الأولى لاسمه في حفر خشبي رائع يصحبها كارت صغير به إهداء لكل ضيف في المعرض.

مداومتها على حضور معارض رسام مشهور مثله كان دومًا مصحوبًا بمباركة والدتها التي وجدت في مثل تلك المعارض تحفيزًا لابنتها نحو مستقبلٍ مشرقٍ كرسَّامة.. الابنة التي تدرس في السنة النهائية في كلية الفنون الجميلة.

في معرضه المكتظ بالجمهور لمحت فوق الحائط ورقةً ملونةً تعلن عن احتياج المعرض لمسئول عن أنشطته. أخرجت مرآتها الصغيرة سريعًا من حقيبتها ونظرت إلى ماكياجها الرقيق نظرة ثقة وأغلقت المرآة سريعًا وأعادتها إلى مكانها ثم اتجهت إليه.

"أنا ندى، أعرَّفك بنفسي أنا طالبة في آخر سنة في فنون جميلة وقريت إعلانك دلوقتي ومستعدة أشتغل معاك.". نظر إليها وابتسم "مستعدة؟ وإيه بقى اللي مأكدلك إنك مستعدة لِدَه؟".. تلعثمت الحروف فوق شفتيها وحاولت التظاهر بالقوة "أنا الأولى على دُفعتي التلات سنين اللي فاتوا غير إني قريت كتير جدًّا في الإدارة وبَرسم لوحات..." لم تكمل جملتها، استدار ليرحب بضيف جديد وفد إلى المعرض.. هل تسرعت حين أقدمت على مثل هذه الخطوة أم هو الغرور سيطر على الفتى فلم يجد فيها ضالته المنشودة؟..غادرت المعرض مسرعة قبل أن يلمح أحد آثار دمعها فوق وجنتيها.. صوت كعبها العالي ينذر بثورة عارمة في أعماق الفتاة. تصل إلى المنزل فترتمي في أحضان أمها راوية لها كل ما مَرَّ بها مع هذا الوغد.

تمر الأيام متلاحقة.

ذات يومٍ تخبرها رفيقتها أن اليوم يقام في الكلية معرض كبير يضم نخبة من فناني الرسم التجريدي في مصر ولا بُدَّ لهما أن تحضرا مثل باقي الزملاء..

بعد تردد لم يتجاوز لحظات تتجهان سويًا إلى مكان المعرض.. تقف أمام اللوحات متسمرة لفرط إعجابها بها. تقرأ بعناية اسم كل لوحة، واسم ذي الأنامل الموهوبة الذي أبدعها.

"ندى" تسمع اسمها وتشعر بأنفاس تقترب منها من الخلف.. تستدير لتجده أمامها فتتسمر أمامه.

"مين حضرتك؟" آه من جمال الكذب حين يصبح ملاذًا للمحبَطين أمثالها.. بالطبع تتذكره بل تحفظ ملامحه وصوته، ولكنها غير مصدقة أنه هنا ويذكرها بل ويذكر اسمها.

"كنت متأكد إني هالاقيكي هنا، آسف على اللي حصل مني في المعرض، إيه رأيك تشتغلي معايا؟".. يسألها مبتسمًا.. فترد بكل ثقة: "للأسف جيت متأخر أنا اشتغلت".. قالتها كرامتها لا شفتاها، وكأنما قررت أن تجهض قصة حب لاحت في أفقها قبل أن تبدأ. منذ هذا اليوم لم تره، حتى معارضه صارت تتجنب حضورها. إلى أن تزوجت أحد أقرباء أبيها الراحل، زواج صالونات مكتمل الأركان سرعان ما تمَّ، وفي غضون أشهر قليلة سافرت معه إلى إحدى دول الخليج.

تعاود النظر إلى الفرشاة بين كفيها وتبتسم مرة أخرى وتعيدها إلى الرف في ثباتٍ.

"ماما حضرتك لسه ماخلصتيش؟".. تنتفض لسماع صوت ابنتها فتهبّ واقفة معتذرة عن غفوتها.. تتجه إلى الكرسي الفارغ وسط الصالون لتكمل فتاةُ الصالون ما كانت قد بدأته.

تعاود النظر في المرآة الضخمة فترى ابنتها تقف في الخلف ناظرة إليها..

ابنتها "زهرة" كانت هدية الزمن لها بعد سنوات عدة قضتها متجولة بين كبرى المراكز الطبية لعلاج حالات تأخر الحمل. ربما كانت محاولات الحمل الفاشلة

لسنوات طويلة هي السبب الرئيسي في اتجاهها للرسم حتى صار اسمها يتصدر قائمة كبار الرسَّامين في مصر وصارت معارضها هي الأشهر ولوحاتها هي الأغلى في العاصمة. العجيب أنها لم تلتقِ به ولو لمرة واحدة على مدار أعوام من عملها كرسَّامة. لم يتبق منه إلا صورة عابرة في مخيلتها وفرشاة خشبية في رفها المهمل.

تمت

مريم

السعادة هي ذلك الإحساس الغريب الذي يراودنا، حينما تشغلنا ظروف الحياة عن أن نكون أشقياء.

طه حسين

هزات هاتفها الصغير ترج الوسادة البيضاء المحشوة بريش النعام.. كم تكره رناته فتحوله في المساء إلى وضع الاهتزاز..

حتمًا هو أمرٌ هام الذي يدفع أحدًا إلى الاتصال بها في مثل هذا الوقت من الليل.. تزيح شعرها المنسدل فوق الوسادة إلى الناحية الأخرى بعيدًا عن وجهها وتمد يديها أسفل الوسادة لتلتقط الهاتف.. تكاد لا تميز الأحرف من شدة نعاسها، تطيل النظر إلى الشاشة المضيئة لتلتقط الأحرف الأولى من الاسم بصعوبة بالغة..

"المجنونة ورد، أنا قُلت محدش ممكن يتصل دلوقتي غيرها".. عاودت الاتصال بالرقم ذي المكالمة الفائتة.. ترد "ورد" بصوت يأتي من بعيدٍ عبر مكبر صوت السيارة: مريم انتي نايمة؟ قومي شوفي المطر بَرَّه خسارة يفوتك"..

"مجنونة" تتمتم بها ضاغطة على أسنانها.. "يعني بتصحيني من النوم قُرب الفجر عشان المطر؟"..

تجيب ورد ضاحكة: "لا، عشان أقول لك أنا راجعة دلوقتي من اسكندرية وهاعدي على الشلة كلهم أجيبهم وجايين نفطر معاكي قومي حضري الفطار، سلام".. أنهت المكالمة سريعًا دون انتظار رد بالنفي أو بالتأكيد. هكذا هن صديقاتها منذ وفاة أبيها، حججهن لشغل أوقاتها لا تنتهي.. كم تحسد نفسها عليهن .

نهضت من الفراش غير مدركة هل تفرح لما يفعلن أم تصب عليهن جام غضبها لجعلها تستيقظ في مثل هذا الوقت ومثل ذاك الطقس.

لحظات سريعة وأنهت استحمامها، تبًّا للمياه التي لا تسخن أبدًا بينما الجو في الخارج يجعل كل شيءٍ يوشك على التجمد.

ترتدي ملابس منزلية ثقيلة وتخبئ أصابع قدميها بجوربين تم صنعهما من الصوف الخالص.

تسرع إلى المطبخ لتعد وجبة فطور ساخنة.. تفكر قليلاً فيما يمكنه أن يرضي رغباتهن.. فكل مجنونة منهن لها ذوق خاص في طعامها..

تكاد أن تنتهي من عملها لولا أن بدأ الدَّق والطبل فوق الباب، تهرول إليهن ليصمتن خوفًا من أن يستيقظ الجيران..

فور أن ينتهين من تناول وجبة الإفطار يعلو صوت (نور): تعالوا نلعب، كل واحدة تختار أغنية واللي هنصقفلها كلنا تبقى كسبانة..

تلتقط كل فتاة هاتفها وتتخير ركنًا دافئًا في غرفة المعيشة -ذات الأرضية الخشبية- تستند إليه..

صوت هاتف مريم يعلو بأغنية ماجدة الرومي (والمطر الأسود في عيني يتساقط زخات زخات، يحملني معه يحملني لمساء وردي الشرفات..)

تتناوب الفتيات اختيار الأغنيات حتى يحين دور "ورد"" فيعلو صوتها "مفيش صاحب بيتصاحب.." تعلو ضحكات الفتيات ويرمين "ورد" بالوسادات الصغيرة المبعثرة في الغرفة..

صوت المطر بالخارج لا يتوقف، تتجه مريم الى النافذة تنظر عبرها إلى الخارج، أنفاسها تترك أثرًا فوق الزجاج، المطر يغطي زجاج سيارتها في الأسفل يذكِّرها باليوم الأخير لابيها حين غطت الأمطار زجاج سيارتها وهي تبحث عن مشفى تستقبل حالته وهو يحتضر.. رغمًا عنها تسيل دموعها فتجتمع الفتيات إلى جوارها تحتضن كل منهن جزءًا فيها..

تحاول "ورد" أن تقطع حالة الحزن التي سادت المكان.. "فين الشيشة؟ أنا هَرُصّ حجر".. تسرع إلى ركن تحفظ تفاصيله جيدًا لتبدأ خطواتها في إعداد الشيشة..

تقف مريم الى جوارها شاردة الذهن تنتظر اتقاد الفحم فتلتقط إحدى حباته المتوهجة وتضعها فوق مبخرة خشبية صغيرة ليتعبأ المكان بعدها برائحة البخور.

تجلس "ورد" في ركن قصي تحتضن الشيشة وعيناها معلقتان بما خلف النافذة..

أما مريم وباقي الفتيات فانشغلن في المطبخ بإعداد البطاطا الحلوة الساخنة لعلها تدفئهن في مثل هذا الجو شديد البرودة..

"ماما الله يرحمها كانت لازم كل يوم في الشتا تعمل لنا بطاطا".. اعتدن الفتيات منذ زمن أن يستمعن إلى قصص مريم عن أبيها وأمها الراحلين..

تسترسل مريم في حديثها تقص لهن للمرة المئة بعد الألف ذكرياتها بعد موت أبيها وأمها.. فجأة تحملق في وجوههن قائلة "أنا حكيتلكم القصة دي كام مرة قبل كده؟" يعلو صوت "ورد": "تقريبا 1100 أو أكتر". تعلو قهقهات الفتيات بما فيهن مريم بينما قلبها ينبض بحب صديقاتها وعيناها متعلقتان بهن وكأنهن طوق النجاة لها في هذه الحياة.

تمت

ساعي البريد

كان الحب أفضل حالاً يوم كان الحمام ساعي بريد يحمل رسائل العشاق، كم من الأشواق اغتالها الجوال وهو يقرّب المسافات، نسي الناس تلك اللهفة التي كان العشاق ينتظرون بها ساعي بريد، وأي حدث جلل أن يخط المرء (أحبك) بيده. أية سعادة وأية مجازفة أن يحتفظ المرء برسالة حب إلى آخر العمر.

أحلام مستغانمي

طرقات مفزعة فوق الباب في نهار يومٍ مُشمسٍ حارٍ جعلته ينتفض من نومه ويهب مفزوعًا متجهًا نحو الصوت وهو يسب الطارق والمطروق.

زجاجات الخمر الفارغة تملأ الأرجاء فتُعرقِل خطواته، يكاد ينكبّ على وجهه فتزداد نبرته في السباب حدةً. رائحة الكحول النتنة تكاد تصل لأنوف المارة خارج المنزل..

يمسك بمقبض الباب الذي فتحه بقوة، فيجد في مواجهته رجلاً غليظ الملامح، أسود اللون، الشنطة الجلدية بين ذراعيه والظرف المعنون البارز منها أعطى إجابة كافية للسؤال الذي كان ينتظر إجابته (مَن الطارق).. إنه ساعي البريد الذي لم يطرق بابه منذ أشهر.. منذ انقطعت رسائلها إليه. اختطف الظرف من بين كفيه وسارع بإغلاق الباب متوجهًا مرة أخرى إلى سريره.

استند إلى وسادة صغيرة وهو يضع الخطاب أمام أنفه، (ما زالت رائحتها تفوح فوق كل ما يقرب منها أو يخصها). كثيرًا ما أخبرها أنه يكره المراسلات الورقية، كان يداعبها مرارًا أنه ليس جبران ليراسل مي زيادة ويذكرهما تاريخ الأدب. ولكنها أبدًا ما كفت عن ممارسة هوايتها تلك. حتى كانت الرسالة الأخيرة منذ أشهر قليلة. كانت أقصر رسائلها إليه "اليوم فقط قررت أن أطيعك، قررت أن أكف عن الكتابة إليك ففي الخمر نشوتك وفي رسائلي إليك كانت لذتي".

بعد أسابيع قليلة عادت إليه رسالته التي كان فيها اعتذاره لها ووعده الواحد

بعد الألف بأن يقلع عن الخمر والمسكرات جميعًا. عادت الرسالة مختومة بختم (لم يُستدَل على العنوان المرسل إليه). غادرت كل ما جمعهما يومًا.. حتى منزلها.

أشهر مرت، ومع طَرقات الباب كأن يأمل في كل مرة أن يجد ساعي البريد خلفه حتى توقف عن الحلم ووجد في العودة لأحضان الخمر مرة أخرى احتواء للحظات الهشاشة في قصتهما.

يفتح الظرف ويلتقط الرسالة، كعادته يتجول بعينيه سريعًا حتى يصل إلى الرقم المطبوع في الصفحة الأخيرة.. (ما زالت تهوى ازدحام الأوراق، خمس صفحات هي الرسالة الواحدة).

"عزيزي أنت: حين يصل إلى بابك ساعي البريد سأكون أنا دنوت من أبعد بقاع الأرض عنك، لم أكتب إليك لأخبرك أين أنا، بل لأخبرك أين أنت!!

أنت اليوم في مكان قصي، في مكان تنعزل فيه الرؤى فلا يلمحك قلبي ولا يألف صورتك..

الفارق (يا شرقي) بين قصتي وقصة مي زيادة هو المُرسَل إليه.. هي كتبت رسائلها إلى رجلٍ تهواه (جبران) وأنا أكتب رسالتي إلى ذَكَرٍ أبغضه (أنت).

هل تسمح لي بينما أكتب أن أتجرع كوبًا من شراب سحري تتناوله النساء في قريتي لنسيان الرجال وقهرهم؟

حين رأيتك للمرة الأولى اندلعت ثورتي، اعتصمت بقلبك، وطلبت حق اللجوء إلى عمرك. فرضت قانون الطوارئ على أيامك معي.. صادرت كل المعاجم اللغوية ومحوت منها تاء التأنيث ونون النسوة.. أحدثت انقلابا في عمري يا أنت.

كنت بدوني قارئًا للتو خرج من أميَّتِه فلم يتعلم سوى قراءة الصحف الصماء، علمتك كيف تتذوق شعر الأدباء يا فقير الأدب لتنهض وتحدثني عن رسائل

جبران، لو كان جبران حيًّا لوقف بين صفوف الحاسدين لك حين تخبرهم متعاليًا أنك تلقيت إحدى رسائلي..

أكاد أسمعك، لا تقسم بقلبي يا كاسره. أنا اليوم هنا لألقنك درسًا جديدًا عن المرأة حين تقسو وحين تغادر إلى غير رجعة.. أراك تهم لتمسك بقلمك المهجور شهورًا، ستخط شكواك؟ صفحاتك البيضاء تلك بالكاد تصنع منها زوارقًا بلهاء تلقي بها إلى النهر، وحده سيقبلها بعد أن يرفضها رفيقي الوحيد (ساعي البريد).

يوم أحببتك أصابتني رصاصة الحب الطائشة فبدأت المعركة، أشهرتَ أسلحتك الناعمة في وجهي فاستسلمت بكامل إرادتي.. واليوم أعلنتُ عليك الحرب، أين أسلحتك أيها المغامر؟ أين خططك الحربية؟ هل لديك الجرأة لمواجهة استراتيجية امرأة مقاتلة؟ إنها الحرب الملعونة من بدء الخليقة.. ستزحف دباباتي إلى عمرك فتهلكك، سأرفع علَمي فوق قلبك وأعلن احتلالي شرايينك.. سأكتب اسمي فوق جبينك، وأسطر قصيدة هجاء بحروفٍ من دمك، سأكتب في كتب التاريخ عما فعلته بك في ساحات المعارك وكيف هويت أسلحة الدمار الشامل.. سأتحول إلى لعنةٍ تطارد أيامك، إلى جرعة مخدِّر تدمنها لتنسيك مُر الأَسْر..

أنا امرأة لا تنتمي لهذا الزمان، من عصر ماقبل الرسالات جئت فكنتَ أنت أول المصدقين بي.. حتى أفقدتك الخمر ما تبقّى من خلايا مخك فكفرت بكل ما قد كان يومًا. تناسيت أني معادلة حسابية صعبة المنال، معجم لغوي محال دراسته.

لا تقلق، فحين تتحرش بي الذكريات لن أرتمي بين أحضانك باكية، بل سألعن مذهب حبك، فلم أعد من مريديك.

سأجعل من رسالتي هذه صكَّ مِلكية يحمل اسمي، فتدرس في تاريخ العشاق.. سأكتب لأجيالٍ قادمة عن سخاء مشاعري وشُح عواطفك.. لن أروي قصص حب سرمدية كاذبة تحتل فيها دور البطولة المزيفة أو أتدارى خلف كلمات بطولية عن

قدرتي على تجاوز ما كان بيننا، سأقف شامخة الرأس والعزة تملؤني لأقص عليهم كيف نهضتُ من كبوتي..

فبالأمس البعيد بكيتُك واليوم بنهاية رسالتي إليك أنتزعك من مسامي وأهجر أوراقي لاعنة سنوات قضيتها معك"..

طرقات مفزعة فوق الباب جعلته ينتفض من نومه جالسًا فوق سريره لا يدرك أين هو، ينظر حوله فلا يجد إلا زجاجات الخمر الفارغة، يعلو صوته وهو لايقوى على مفارقة مكانه (مَن الطارق؟)

يأتيه الرد من خلف الباب الخشبي (ساعي البريد)!

تمـــت

لاتحدث الثورات في الخفاء. الثورة والكتابة كلتاهما لاتعرف السرية.
حطمي قفل الدرج واكتبي في النور.. اغضبي وثوري ولا تستكيني.

نوال السعداوي

قرأتُ بنهم وعاطفة وشوق، قرأت بلا هدى أو مخطط أو نموذج يُحتذَى به،
رحت أقرأ أي شيءٍ أعثر عليه وأعيد قراءته.
إن الكتب هي مَن غيرتني، ومَن أنقذتني، وأنا أعلم في قرارة نفسي أنها
ستنقذكم أيضًا.

إليف شافاق

الكتاب هو المكان الوحيد في العالم الذي يمكن أن يلتقي فيه غريبان
بحميمية كاملة

مي زيـــــــــادة

مش هينفع أسيب القلم قبل ما أشكر كل حد في حياتي قالّي مرة (برافو).

الشكر موصول لصاحبات عمري اللي ياما صدَّعتهم بكتاباتي حتى التافه منها..

لأمي اللي استحملت إني أخلَّص فلوسي من صغري على الكتب وعمرها ماقالتلي كفاية..

لولادي (فجر وليال وحسام) اللي جيت عليهم وأخدت من وقتهم وحقهم عشان أخرَّج الكتاب ده..

لجوزي اللي قالِّي بكل ثقة (كملي)..

الشكر كل الشكر لكل حد استحمل يقرا الكتاب من أوِّله لآخره من غير ما يمِل..

وأخيرًا لكل إنسان لسه عنده القدرة إنه يمسك كتاب ويقرأ في زمن أصبحت الورقة فيه ذكريات من زمن فات.

بردیس سعد.

النهـــــاية

دَعِ الآخرين يتباهون بعددِ الصفحات التي كتبوها، أما أنا فسأتباهى بعدد الصفحات التي قرأتها.

بورخيس

لمتابعة الكاتبة أو التواصل معها:

Facebook: Bardis Saad

E-mail: bardishany@gmail.com

الفهرس

مقدمة..... 9
واحدة سِتّ..... 11
سي السيد 13
كلام كبير 15
المـــوت 16
كش ملك..... 18
سابع جار..... 20
لما بقيت ماما 22
لقد نفد رصيدكم..... 24
صاحبي الجدع بزيادة..... 25
١٠٠ يوم سعادة..... 27
الغربة 28
يارب تنجح ياتتح..... 30
عالم تاني..... 31
نفسك تطلع إيه؟..... 33
سوق الرجالة 35
حب ما تعمل 37
حتى تعمل ما تحب..... 37
رمز البهجة..... 39

الزهايمر 40
الطبطبة 41
لما دماغي بتشطح 43
شهر زاد..... 45
اتنين في واحد 47

قصص قصيرة.....49

ذات الرداء الأسود 53
آلة الزمن..... 61
مُلهِمي 67
يا قرة العينِ..... 75
العانس..... 81
بائعة الزهور..... 87
الغائب الحاضر 93
فتاة الشاطئ..... 99
المدونة 107
الدراجة الزهرية.....113
صور.....117
إلى تلميذة 121
المرآة 125
مريم 133
ساعي البريد 139